ANCORA IMPARO



العُصُور

مارس وأبريل سنة ١٩٣٠ | اعرف نفسك بنفسك – فيثاغورس | مجلد ٦ العددان ٣١ – ٣٢

التطور وأثره في مستقبل الفكر الانساني

نص الخطبة التي ألقاها صاحب هذه المجلة في الاجتماع السنوي الأول للمجمع المصري للثقافة العلمية برئاسة الدكتور علي إبراهيم بك وكيل الجامعة المصرية وعميد كلية الطب في يوم الثلاثاء ٢٥ مارس سنة ١٩٣٠ في الساعة السادسة مساء بقاعة المحاضرات في دار جمعية الحشرات بالقاهرة

(١) تمهيـــد

المعرفة اصطلاح يجمع بين كل الآثار التي أبدعها الفكر الانساني . فالعلم معرفة ، والدين معرفة ، والفلسفة معرفة . والراجح أننا لانبالغ إذا قلنا إن الأدب والفن معرفة ، وان جميع هذه الآثار الفكرية ، باعتبارها نتاجاً للقوة العاقلة في الانسان ، يجب أن يجمع بينها اصطلاح واحد ، هو المعرفة .

عندما بدأ الانسان يتطلع من فوق هذا السيار الصغير إلى ما حوله من

الاكوان ، وأراد أن ينفذ ببصيرته إلى الماهيات ، كما نفذ بصره إلى الماديات التي تحيط بعالمه الارضى ، تخالطت عليه المقاصد وسدت في وجهه سبل البحث لقصور في قوته العاقلة ، ونقص في الوسائل. في هذا الطور من البحث جمعت بين مخلف نظراته في الوجود والحالات المحيطة بالوجود ، فكرة واحدة ، هي أن يعرف شيئاً مما يحيط به ، يرضى به نزعته إلى البحث ، ويشبع به نهمة التطلع في نفسه . وفي هذا الطور ظهرت البدايات الأولى في فروع المعرفة

عندما يعرف الهمجي لأول مرة أن العصا تحترق إذا أدنيت من النار ، وأن المسافة التي يقطعها من منبع النهر إلى مصبه ماشيا ، أطول من المسافة التي يقطعها بين شاطئيه سابحاً أو خائضاً ، فذلك أول عهد الانسان بالعلم .

وعندما يقف متطلعاً إلى السماء مستوحياً مساميرها الفضية وشمسها المتوهجة وسياراتها السابحة في الفضاء ، ثم يسائل نفسه ماهذا الكون الفسيح ؟ وما الغاية من هذا النظام وكيف وجد ومن أوجده ؟ وما الازل ، وما الابد ، وما اللانهاية ؟ وهي فكرات ضرورية تنشأ مع التأمل ، فذلك أول عهد الانسان بالفلسفة .

أما إذا أراد أن يعرف كيف نشأ ، وممَّ نشأ وإلى أي شيء ينقلب بعد الموت ، وأخذ يكد ذهنه في البحث وراء العالم غير المنظور ، عالم الغيب الذي تمثله له أشباح التخيل وقوة التصوير والوهم ، فذلك أول عهد الانسان بالدين .

هذه الكفايات خلقت مع العقل . غير أنها ظلت متخالطة متشابكة الحلقات أدواراً من السنين وأطواراً من عمر الانسان ، ولا تزال على تخالطها وتشابك حلقاتها قائمة في ذهنية الكثيرين ممن لم يعنوا بدرس الفواصل التي تقيم حدوداً معينة بين هذه الكفايات . وهؤلاء على كبير خطرهم بمالهم من مراكز يسدون فراغها في الحياة ؛ هم أكبر عقبة تقوم في سبيل العلم والدين والفلسفة معاً . ذلك لان تخالط الآثار التي تنجم عن هذه الكفايات داع إلى الفوضى الفكرية ، وعامل من أكبر العوامل على قتل ملكة النقد وتنظيم المناقشات على الاساس الامثل . وهذا هو السبب الذي حملني على أن اختار هذا الموضوع ليكون محل عنايتي وعناية الفئة الراغبة في التفريق بين آثار الكفايات العقلية في الخارج كما فرقت بينها الطبيعة في تضاعيف الفطرة الانسانية .

(٢) أظهر الكفايات العقلية

الكفايات التي هي أظهر من غيرها أثراً في حياة الانسان العقلية ثلاث : أولا : كفاية الاعتقاد . ثانياً : كفاية التأمل . ثالثاً : كفاية الاثبات أو الاختبار . والراجح أن هذه الكفايات ، هي الكفايات الاساسية التي تقوم عليها المعرفة .

وعن هذه الكفايات الثلاث تنتج ثلاث صور من المعرفة . فعن كفاية الاعتقاد ينتج الدين : وعن كفاية التأمل تنتج الفلسفة : وعن كفاية الاثبات ينتج العلم . إذن فالدين والفلسفة والعلم ، ثلاثة اصطلاحات وضعت لتدل على ثلاث صور معينة من صور المعرفة الانسانية ، بحيث تفصل بينها في الاعتبار العقلي حدود موضوعة ، ولا تجتمع إلا في حيز واحد ، اذ ترجع برمتها الى أنها نتاج للعقل الانساني .

وما نعني بالعقل الانساني إلا ذلك الشيء الغامض المبهم الذي فيه من الفطرة ومن الكسب مزيج ينتج تكوينا نسميه العقل . وما دام العقل احد الفروض الضرورية التي نسلم بوجودها تسليما ولو عجز العلم عن اثبات وجودها بأساليبه المعروفة ، اضطررنا الى القول بأن تعريف العقل مستعص الى حد بعيد . ولكن يكفي أن نعرف من العقل أنه المصدر المكون من فطرة وكسب ، والذي تنتج عنه مجموعة المعرفة الانسانية .

(٣) الاعتقاد والدين

في الحياة الانسانية ظاهرة من الجائز أن تكون قد سبقت بالوجود أول مدارج الاجتماع . تلك ظاهرة الاعتقاد . فكما أن الانسان اجتماعي بالطبع كما قيل ؛ كذلك هو كائن معتقد بالطبع . أي أنه ذا عقيـــدة في صحة شيء وبطلان آخر .

فالانسان اذن كائن معتقد بطبعه . وما كان للانسان أن يتبدل بمعتقده معتقداً آخر ، قبل أن تصح عنده مقدمات تسوق اليه ، وما كان له أن يثبت على معتقدين متناقضين أومتضادين تلقاء شيء بذاته ، في زمان بذاته . ذلك لان للعقل الانساني طبيعة لاتسع إلا اعتقاداً بعينه في زمان بعينه .

من هنا نقول بأن الاعتقاد الفطري في الانسان أصل الدين . كما أن التخيل منشؤه .

(٤) التأمل والفلسفة

اذا خرجنا من عالم الاعتقاد ولجنا عالم التأمل . ويحسن بنا أن نبين هنا أن الانسان كما هو معتقد بالطبع واجتماعى بالطبع ، كذلك هو متأمل بالطبع . ولن يكون تأمل بلا اعتقاد ، ولا فلسفة بلا تأمل .

يبدأ الانسان بالاعتقاد من غير أن يكون له اختيار فى أن يتأمل فى حقيقة مايعتقد به . فاذا داخل الانسان الشك فى حقيقة شيء مما يعتقد به ؛ بدأ يتأمل فى مايقوم عليه اعتقاده من المقدمات ، وفيما يمكن أن يصح لدى العقل من النتائج التى تؤدى اليها هذه المقدمات . فاذا صح لديه من طريق ما ، أن الحقائق التى اعتقد بها بديا لاتتلاءم ماوصل به التأمل ، اخذ من ثم يتلمس طريقاً يوفق به بين معتقده واستنتاجه ، أى بين دينه وفلسفته . غير أنه غالب مايعز عليه أن يلغى الدين ، كما يعز عليه أن يلغى الفلسفة ، فيحاول من ثم المزج بينهما ، مزجا أخرج لنا كل صور الدين العليا ، وكل مذاهب الفلسفة اللاهوتية والكونية ، التى قامت على مدى الازمان .

(٥) الاثبات أو الاختبار والعلم .

من الاعتقاد ومن التأمل ممتزجين تتولد حالة ثالثة ، هى من حيث الاصل فطرية فى الانسان . على أن هذه الحالة لن تنشأ إلا مع الشك . فان الانسان اذا شك فى معتقده ، ثم شك فى استنتاجاته التأملية نزع ضرورة الى الاثبات بالاختبار . فاذا كلت فيه هذه النزعة الاثباتية ، نشأ مع كمالها الأسلوب العلمى فى أول مدارجه . فاذا تدرج فى طريق الاثبات ، تميزت الطريقة العلمية الاثباتية على الاسلوب الحديث ، فأصبحت عبارة عن وحى الحواس ، تمييزاً لها عن وحى الاعتقاد ، ووحى التأمل .

(٦) اصطلاح « العلم » فى المجاز

علينا أن نبين بعد هذا أن اصطلاح العلم كثيراً ما يستعمل مجازياً ليدل على المعرفة . فان الغالب عند كل من يحاول أن يعرف شيئاً من حقائق الكون

أو قضايا المنطق الجدلية أو القياس أو أصول الدين أو التشريع أو النفس أو الأدب ، أن نسمي هذا علماً . ولكل عذره في أن يستعمل هذا الاصطلاح في هذا المعنى المجازي الواسع . لأن كل ما وصل الينا من مذاهب الفلسفة أو مبادىء العلوم أو أصول الشرائع في العالم القديم سمي « علماً » . ذلك لان تقسيم المعرفة على مقتضى كفايات العقل الانساني ، وليد العصور الحديثة . ولهذا نجد أنه من أصعب الاشياء أن تناقش شخصاً لم تتحيز في عقليته الفروق الموضوعة بين أقسام المعرفة على مقتضى الكفايات التي تستمد منها في تكوين العقل . ذلك لأنه يعتقد أن الدين علم وأن الفلسفة علم وأن العلم علم . في حين أن الاصطلاح الجامع لهذه الصور الثلاث هو « المعرفة » فالدين معرفة والفلسفة معرفة والعلم معرفة . ومن مجموعها تتكون المعارف الانسانية . ولاجرم أننا من غير أن نميز بين الفروق الموضوعية القائمة بين هذه الصور ، نضرب في ليل من الشك حالك السواد . لهذا نحدد صور المعرفة بما يأتي

أولا — الدين ـ Religion ـ اعتقاد ذاتي .

ثانياً — الفلسفة ـ Philosophy ـ تأمل : لا ذاتي صرف ، ولا موضوعي صرف .

ثالثاً — العلم ـ Science ـ اثبات استقرائي موضوعي .

ويين هذه الصور الثلاث يجمع اصطلاح واحد هو :

رابعا — « المعرفة » ـ Knowledge ـ

على هذا نجد أن العلم محدود تحديداً تاما بسيطا ، وكذلك الدين . إن العلم والدين باعتبارهما طرفي النقيض في تكوين العقل ، تجمع بينهما الفلسفة مستمدة من كفاية التأمل . فاذا لم نراع هذه الحدود ، وإذا لم نراع الدقة في استعمال هذه المصطلحات ، لم نستطع أن نحدد التفكير ، وبذلك تختلط علينا المقاصد في العلم والفلسفة والدين . بل نعجز عن أن نحدد الاغراض التي ترمي اليها ، ونبالغ في تقييم الحاجات الفكرية والمادية ، مبالغة قد تصل إلى حد الافراط حينا ، أو التفريط حينا آخر . بل لا نخطىء إذا قلنا إن كل المناقشات التي تقوم حول المباحث العقلية ، تصبح خليطا من صور الفكر ،

لن تؤدى إلى نتيجة ولن تصل معها إلى غاية . وبذلك تفسح المجال للجدل المنطقي الذى ذاعت مع ذيوعه مذاهب السفسطة فى العصر اليونانى ؛ والكلام فى العصر الاسلامى .

(٧) تفريق بين حالات عقلية

لاجرم أن هذا البحث يظل ناقصا ، إذا لم نتناول بالكلام حالات يشتبك فيها العلم مع الفلسفة اشتباكا كبيراً . ولن يأتى هذا الاشتباك إلا من « الفرض » .

وليس من غرضنا أن نحدد « الفرض » فى المنطق أو ما هو « الفرض » فى الفلسفة القديمة . بل غرضنا أن نقسم الفرض قسمين : أولهما الفرض الضرورى : والثانى الفرض الامكانى . فالفرض الضروري هو ما يقبله العلم وإن عجز عن اثباته بأساليبه المعروفة وأما الفرض الامكانى فلا مكان له إلا فى عالمى الفلسفة والدين .

(٨) الفرض الضرورى

هو عبارة عن الحكم الذى يضطر العقل على التسليم به بمقتضى ما فى العقل من ألفة ، لا يمكن الاحتفاظ بها إلا من طريق التسليم بذلك الفرض . فى حين أن العلم Science يضطر الى التسليم مع العقل بصحة ذلك الفرض ، ولو عجز من اثباته بالطرق العلمية الموضوعة

(٩) الفرض الامكانى

هو الفرض الذى يستوى فيه حدا الوجود والعدم . أو الذى يحتمل أن يكون له حقيقة موجودة ، كما يحتمل أن لا يكون له أية حقيقة فى الخارج . ومعنى هذا أن العقل اذا سلم بالفرض الامكانى أم لم يسلم ، فانه يظل محتفظاً بألفته كاملة . فى حين أن العلم يرفض التسليم بالفروض الامكانية رفضاً باتاً تاماً مالم تثبت صحتها ثبوتاً قاطعاً بالاساليب العلمية المعروفة

(١٠) الاسلوب الحديث

فى هذا يتلخص اسلوب المعرفة الحديث ، و بهذا تعرف المذاهب الحديثة بين صور المعرفة . و لاقيام لثقافة اساسها الاسلوب العلمى من غير أن يتخير

هذا التصور في عقول المثقفين ، ويهضم هضما كافياً ، ليكون اساس النقد من ناحية ، واساس البحث من ناحية اخرى

ولاجرم اننا اذا وعينا هذه المبادىء نصبح قادرين على تحديد المعقولات تحديداً يجعلها اكثر خضوعاً لاحكام العقل وكفاياته ، وخرجنا من ظلمات الجدل الى وضح الطريق العقلي الصرف ، نتمتع بثمراته ، ونتخذه قاعدة نبني عليها صرح العلم ، ونشيد من فوقها بناء الفلسفة والآداب

(١١) كيف تحيز هذا الاسلوب ؟

نكون مخطئين اذا تساءلنا كيف نشأ هذا الاسلوب ، ولكن نصيب إذا تساءلنا كيف تحيز . ذلك لان نشأته راجعة الى نشأة العقل ، وكثيرا ماسير هذا الاسلوب دفة الحياة الانسانية في عصور لم يكن قد تحيز فيها بعد على غفلة من الانسان عن أمره ، وعلى جهل منه بحقيقة القوة المكتنزة في تضاعيف فطرته . لهذا نتساءل كيف تحيز لا كيف نشأ ؟

عجيب من امور هذه الحياة أن يكون أرسطوطاليس (المعلم الاول كما يقولون) وصاحب اكبر عقل على ظهر خلال العصور القديمة والعصور الوسطى ، قد وضع اقسى اداة تقف امام العلم الذى كان من أول واضعيه واول المضحين في سبيله بكل مناعم الحياة . فلقد وضع ارسطوطاليس بجانب علم الحياة والامبريولوجيا وبجانب بحثه في الاخلاق وبجانب مباحثه في التشريح ، مبادىء المنطق الاستنتاجى (Deduction) فان هذا المنطق الذى يتصرف فيه الفرض وتحكم فيه المقدمات ، من غير أن يزنها اختبار ولا تؤيدها مشاهدة ، قد حال دون العلم الصحيح كما عرف في العصور الحديثة . لانه اصبح دعامة المعرفة الوحيدة واساس المقولات اللاهوتية التى ظلت متحكمة في العقول طوال العصور الوسطى على اطلاق القول . فلما انقلبت آية الحياة في حدود العصور الحديثة ، ونظر الانسان الى الحياة باعتبارها آية أرضية ، ودعته الحاجة الى تقييم نوعه بمقدار ما له في الحياة من سلطة على عناصر الطبيعة التى تنوشه وتتصرف فيه بلا رحمة ولا شفقة ، وانقلبت فكرته في الاساس الذى كانت تقوم عليه المعرفة

والغرض الذي ترمى اليه ؛ تهيأت طريقة المنطق الاستقرائى (Induction) القائم على المشاهدة والاختبار ، وبالاحرى على الحواس . وكان أول من جري على قواعده الفيلسوف « ديكارت » القائل بالشك ؛ وواضع مبادئه الفيلسوف « فرنسيس باكون » ومصلحه الفيلسوف الايقوسى المعروف « هيويل » (Whewell) الذي يقرر فى أول كتابه « المنطق الاستقرائى » كأول قاعدة تجريبية من قواعده

« الانسان معلل الطبيعة ، والعلم هو التعليل الصحيح »

وليس لنا فى هذا الموطن أن نستطرد الى سرد التدرجات الدقيقه التى تناوبت على هذا المنطق حتى تميز على صورته الاخيرة . ولكن حسبنا أن نقول إن اساسه الاختبار واسلوبه التاريخ . الاختبار الحسى من ناحية . وتعليق درس العلوم على درس تاريخها من جهة اخرى . وانى لاقول آسفاً ، اننا عدمنا نعمة هذا المنطق حتى الآن فى معاهدنا العلمية

وبمقدار مابين المنطقين من الاختلاف ، تقيس الفوارق الكائنه بين الحضارة القديمة والحديثة . وبالاحرى بين حضارة الاعتقاد وبين حضارة الاثبات ، بين حضارة النظريات وحضارة العمليات ، بين حضارة الرياضة الفكرية ، وحضارة المنفعة . وإن شئت فقل بين حضارة الفلسفة وبين حضارة الانتاج الصناعى الحديث .

***

(١٢) نشوء المذهب الجديد

على هذا المنطق ، وكنتيجة من نتائجه ، قام أكبر مذهب فلسفي علمى فى العصر الحديث ، وهو بلامراء مذهب النشوء والارتقاء الذي وضعه « داروين » معلم القرن التاسع عشر غير منازع ؛ وهو المذهب الذى نريد أن نتخذه قاعدة للتدليل على الاسلوب الذى سوف يؤثر به النشوء والتطور فى مستقبل الفكر الانسانى .

خيل الى الكثيرين أن العلامة داروين قد اقتصر عمله فى كتابه الخالد

«أصل الانواع» على أن يثبت بالبرهان العلمى الحديث نظرية فلسفية قديمة. ولقد أثبت الاستاذ «هنري فيرفيلد أوزبورن» الامريكي وغيره من الكتاب، أن نظرية التطور قديمة نشأت مع بدايات الفلسفة اليونانية، وظلت متنقلة فى العقول خلال كل الازمان، حتى اسلمت بها الاقدار الى القرن الثامن عشر فولدت جديدة بأبحاث كاسبار فردريك وولف سنة ١٧٥٩، ولامارك بكتابه فلسفة الحيوان سنة ١٨٠٩ وداروين بكتابه الخالد «أصل الانواع» سنة ١٧٥٩. ذلك قرن كامل من الزمان.

و يعتقد الكثيرون فى العصر الحاضر أن نظرية النشوء الداروينيه تقتصر على هذا وحده، وأنه اذا غولى فى الامر وتوسع العلماء فى تطبيقها، أمكن ذلك فى أسلوب النشوء الكونى والعضوى فى الماضى والمستقبل، من غير أن يكون لها أثر عملى فى خلق تصورات جديدة يمكن الوصول بها الى قواعد تجريبية تطابق المنطق العلمى الاستقرائى، بحيث يستطاع من ناحيتها توجيه النوع الانسانى فى الحياة، فرديا واجتماعيا، توجيها أرشد وأكثر خيراً. والحقيقة أن عظمة «داروين» تمتد بمذهبه الجديد الى مستقبل النوع الانسانى على كرة الارض، بطريقة علمية استقرائية. بل إن مذهب النشوء الانتخابى ـ وهو فى الواقع مذهب داروين بأحكام القول ـ ليس بمذهب تأملى نظري فهو مذهب عملى تطبيقى. وعندى أن لمذهب النشوء طرفين: طرف نظرى أدرك القدماء وأهل العصور الوسطى شيئاً منه، واستطاعوا أن يعللوا به نشوء الكون والتغيرات التى وقعوا عليها فى سطح الكرة الارضية، وهى فكرة استمدوها من نشوء أفراد الحيوان والنبات. وطرف عملى هو الذى وضع داروين قواعده لاول مرة فى تاريخ العلم. وعلى هذا تقوم عظمة داروين.

نستمد الدليل على هذا من حقائق التاريخ العلمى. فان التصور القديم فى النشوء لم يستطع أن يمحو من عالم الفكر الانسانى بضعة أخطاء نفسية أهمها أن الانسان محور الكون، وأن الكون لم يخلق إلا من أجله. ولقد كان هذا الخطأ النفسي وحده، بله أخطاء أخرى تشابهه ولا تنزل عنه أثراً فى دمغ العقل

بطابع معين ، سبباً حال دون نشوء الافكار الحرة زماناً طويلا . ومن هنا يظهر لنا جلياً أن تصور النشوء على وضع أثر أثره المحتوم فى تكوين الفكرة الحديثة ، وعلى منحى فتح أمام العقل الانسانى أبوابا جديدة لم تفتح من قبل، يرجع فضله الاعظم لعلم القرن التاسع عشر .

(١٣) قواعد النشوء

ومهما يكن من أمر الذين يحاولون أن يثبتوا قدم مذهب النشوء ، فان القول بان هذا المذهب من ثمرات العقل الحديث ليس بمطابق للحقيقة على اطلاق القول . أما الحقيقة فهى أن « داروين » قد استطاع أن يستحدث من الفكرة القديمة تصوراً جديدا ، أقامه على ثلاث قواعد استقرأها من مشاهد الطبيعة . أما هذه القواعد فهى :

أولا — التناحر على البقاء

ثانياً — الانتخاب الطبيعى

ثالثا — بقاء الاصلح

ولقد أحدث استكشاف هذه القواعد المترابطة ثورة انقلابية فى سير الفكر الانسانى . لهذا يحق لنا شرحها واظهار علاقتها بالانسان وحالاته الحيوية . وأثرها في تطور الفكر .

٭٭٭

(١٤) تحليل التناحر على البقاء

لقد أوحى الى داروين بفكرة التناحر على البقاء من بحث كتبه « توماس روبرت ملتوس » فى الاحصاء وازدياد عدد الاحياء بنسبة رياضية . فقد استبان أن الاحياء اذا لم ينزل بها الفناء فى فترات من الزمان ، ملأ وجه الارض نسل نوع واحد منها فى عهد قصير . ولقد ضرب داروين على ذلك أمثالا كثيرة ليس هنا محل ذكرها . أما ما يهمنا الكلام فيه ، فالوقوف على تفاصيل الفكرة فى نشوء الاحياء ، كما وصفها « داروين » ومن ثم نطبقها على عالم

الاجتماع الانسانى. و لما كان تفصيل الفكرة تفصيلا وافياً أمراً بعيداً عن الامكان فى مثل هذا الموقف ، و مفروض اننا جميعا نلم بطرف موجز منها ، لهذا نتابع البحث فى تطبيقها على الاجتماع الانسانى مع مراعاة الايجاز بقدر المستطاع

جاء فى الفصل الثالث من كتاب اصل الانواع : وهو الفصل الذى خص به داروين التناحر على البقاء ، ثلاث جمل يستخلصها المكب على درس هذا المذهب بسهولة ، إذا هو اراد ان يستقرى، ما وراء السطور . قال .

أولا - إذا فرض وجود حيوانين من الفصيلة الكلبية فى زمن اشتدقحطه ، فيمكن القول بانهما يتناحران من ... منهما يحصل على الغذاء و يفوز بالبقاء.فى حين أن نباتاً فى صحراء يمكن أن يقال بانه يجالد الجفاف فى سبيل الحياة . أو بعبارة أصح ، أنه يعتمد على الرطوبة فى سبيل الفوز بالبقاء

ثانيا — إن المناخ يلعب الدور الاعظم فى تحديد متوسط العدد الذى يبقى من أفراد الانواع . والظاهر أن الفصول الدورية التى يفرط فيها البرد أو الجفاف،هى أشد الصدمات العنصرية التى تتعرض لها الاحياء.

ثالثا — اذا بلغنا الاقطار القطبية أو الصحارى القاحلة أو قمم الجبال الجليدية، فان التناحر على البقاء يكون برمته ضد العناصر .

رابعا — كثيرا مايحدث أن ذهاب أفراد الانواع فريسة غيرها لاحتياجها الى الطعام : هو الذى يحدد متوسط عدد أفرادها .

من هذه القواعد البسيطة نستطيع أن نستنتج أن التناحر على البقاء كما تميز فى عقل داروين : انما هو على أربع صور مترابطة ، ولكنها متمايزة .

أولا - الصورة الاولى : هى التناحر فى سبيل رد الفعل الطبيعى أو مقاومة الأثر العنصرى ، وقد نستطيع ان نسميه التناحر العكسى ، بان يحتمل الكائن الحى الحرارة أو البرد أو القواسر الاخرى ، بان يقدر ان يرد عدداً أزيد من الانفاس ، أو يخطو خطوة أزيد ، أو يستقوى على التعب الجسمى وأثر اليأس النفسى ، أو يستطيع أن يستكشف البيئة و يعرف مركباتها ، أى يحللها ، لعله يعرف كيف ينتفع بما يبقى على حياته دقيقة أخرى

ثانياً — الصورة الثانية : وهى التناحر فى سبيل الحصول على الطعام ،

وقد نستطيع أن نسميه التناحر الايجابي ، بان ينتفع الكائن الحي باشياء يصلح بها ما يفقده من القوة الحيوية فى مقاومة الاثر العنصرى أو رد الفعل الطبيعى

ثالثاً — الصورة الثالثة : وهى التناحر فى سبيل المكافأة ، وقد نستطيع أن نسميه التناحر التكافؤى : بان يعمل كل كائن على حيازة أكبر قسط من المكافأة بين تكوينه وتركيبه وبين طبيعة البيئة الخارجية المحيطة به .

رابعاً — الصورة الرابعة : هى التناحر فى سبيل المعادلة الضمامية ، وقد نستطيع أن نسميه التناحر التعديلى ، بان تعدل افراد الاحياء حالاتها بما تتطلب حاجة الجماعة

* * *

من هذا التحليل نستطيع أن نجيب على عدة من المشكلات الكبرى التى امضت العقل الانسانى قروناً طوالا . فاذا تساءلت مثلا ما هى العلاقة بين ظاهرات الدين والجمال والعقل والاقتصاد والاخلاق والاجتماع بعضها ازاء بعض وازاء الحياة فى مظهرها الكلى ، أو اذا تساءلت : ما هى نقطة الانفصال فى النشوء الاجتماعى عن كل ما سبقها من مظاهر النشوء التى أدت اليها ، أو ما هو الحد الفاصل بين مظهر الطبيعة الاجتماعى ومظهريها العضوى والنفسى مثلا ، فاننا لاشك نقع فى تحليل التصور العلمى فى حقيقية التناحر على البقاء ، على اجوبة مرضية لهذه المشكلات

فان الصورة الاولى من صور التناحر على البقاء ، أى صورة التناحر فى سبيل رد الفعل الطبيعى أو التناحر العكسى كما سميناه ، انما تنقلب مع النشوء حاسة دينية رسيسة فى النفوس أو حس بالجمال عميق الاثر فيها . كما أن التناحر فى سبيل الحصول على الطعام ، انما ينبعث عنه الحياة الاقتصادية . والتناحر فى سبيل المكافأة انما يحدث الاخلاق العليا كضبط النفس والتوجيه الذاتى وطبع الوجدان بطابع معين . فى حين أن التناحر فى سبيل التعادل الضمامى ضرورى للاحتفاظ بالصفات الاجتماعية التى يتركب بها مجموع من السلالات العليا فى الحياة العضوية

اما الانتخاب الطبيعي وبقاء الاصلح ، فنايعان لذي الحقيقة لتصور التناحر على البقاء . وشرحهما يحتاج الى كثير من الوقت والفراغ . ويكفي أن نقول فيهما إن تصورهما في عقل دارون ادى الى فكرة كبرى في الانتخاب الزوجي بناها على حقيقة وجود الصفات الزوجية الثانوية ؛ وهو مبحث في التاريخ الطبيعي استمدت منه فكرات اجتماعية لها الاثر الاول اليوم في توجيه الاصلاح الاجتماعي وجهة جديدة .

(١٥) التطبيق العملي

لم نقصد بهذا الشرح أن نستطرد الى الكلام في حقيقة المذهب الدارويني الحديث . بل قصدنا الى التمهيد دون التقرير . قصدنا بهذا أن ندرك التصور الجديد في العلم النشوئي ، وعلاقته بالحياة الانسانية . ولو أردنا أن نشرح كل وجوه العلاقات القائمة بين تصور النشوء والحياة ، لما وسعنا مجلد ضخم لم فيه بأطراف موجزة من هذا الموضوع المترامي الاطراف . لهذا نكتفي بأن نظهر علاقة الابحاث النشوئية بفرع واحد من فروع المعرفة الانسانية ، ليكون مثالا نحتذيه في بقية الفروع اذا أردنا . ولندرك على وجه التقريب أثر الفكرة النشوئية في العلم الانساني .

قد نحاول أن يكون موضوع بحثنا اليوم في علاقة الدين والآداب بالنشوء . غير ان هذا البحث ، على انه علمي صرف ، قد يقيم في الاذهان شكا في حقيقة ما نقصد اليه من كلمتنا هذه . وقد نقصر بحثنا على علاقة الفلسفة بالنشوء . غير ان احتياجنا الى الغوص وراء مشكلات العقل في مثل هذا البحث ، قد تنبو عنه أسماع الكثيرين ممن نحاول أن نجعل خطابنا معهم قاصرا على أوليات عامة تظهر من ناحيتها أثر التطور في مستقبل الفكر الانساني . وقد نبحث النشوء من حيث علاقته بالخلايا الحية وانتقال الصفات الوراثية ، أو نشوء الانسان ، أو أصل الجماعات البشرية أو الانقلاب الجنيني أو الاستيطان أو الاجتماع أو الاخلاق أو علم النفس أو غير ذلك من فروع المعرفة . غير ان احتياجي في مثل هذه الابحاث الى الشروح العميقة بعض

الشيء ، جائز أن يعترض عليه من بعض الوجوه ، لهذا اخترت أن يكون الكلام فيما كان من أثر التصور الحديث فى النشوء على بحث « التاريخ » . وغالب ظني انه من المتيسر فى مثل هذا البحث أن نعرف كيف يؤثر تصور النشوء فى تكوين العلوم .

(١٦) حالات تنتج مشكلات

فى سنة ١٩٢٢ على ما أذكر نشر الاستاذ المغفور له الدكتور يعقوب صروف فى مقالا فى التاريخ لأحد الكتاب ، فهد له بكلمات خيل الى منها انه يعتقد ان التاريخ علم ، على ما يعرف من العلم فى المباحث الحديثة . فكتبت رداً عليه نشره فى المقتطف ، حاولت أن أثبت فيه ان التاريخ مزيج من الادب والفن ، ولا أزال مقتنعا بصحة رأيي هذا .

غير انى مع هذا كنت شديد الاقتناع بأن من الفنون الادبية أو الابحاث النظرية ؛ مايكون فى طور انتقال يتخطاه الى حيث يصبح علما صحيحا . والحقيقة أن التاريخ من بين المعارف الانسانية يجتاز هذا الطور فى العصر الحاضر فهو على ما أرى علم فى طور التكوين . وهذا ما نحاول اثباته فى هذه الكلمة معتمدين ذلك على المباحث الحديثة والتصور النشوئى الذي دمغ الفكر بطابعه الثابت فى هذا الزمان .

* * *

وقعت فى تاريخ الدنيا حوادث اذا تأملت منها ؛ لاحت كأنها خيال لا حقيقة . حدث أن وجه الافراد والجماعات هممهم وبذلوا جهدهم فى سبيل نشر دين جديد ، فكانت النتيجة أن تكونت حكومة من طراز حديث ؛ أو تألفت جماعة حربية لم يكن لها وجود من قبل . وقد تجد أن الطبقات الحاكمة أو الجماهير المحكومه ، قد عمدت الى رفع المستوى العام من أممهم بالعمل على تنمية الموارد الاقتصادية أو تدعيم السلطة السياسية ، فكانت النتيجة قيام دين جديد ، عما يقتضى قيام الدين من التقاليد والمذاهب والمبادىء ؛ ليحتل المكانة التى كانت

تشغلها الميثولوجيا القديمة، وليجدد من حياة الأمم الروحية. وكذلك تقع في التاريخ على منازعات وحروب قامت بين حكومات، ودارت رحاها حول أشياء معينة، ولكنها انتهت بإبرام معاهدات أو عقود صلح، فضت مشكلات تختلف اختلافاً كلياً عن طبيعة الاشياء التي قامت من أجلها الحرب واحتدمت نار الجلاد. وعلى هذه القاعدة نجد أن مشكلة العرش في أمة خلا عرشها من ملك يحكمها؛ كانت في التاريخ مثاراً لمنازعات وحروب تناولت أكثر أمم المدنية، فأدت في النهاية إلى تعديل التخوم الجغرافية التي تحدد بقاع كل أمة من الامم. وقد تشب خلافات بين أميرين ويكون سببها الوراثة العائلية أو المماحكات السياسية. ولكن الخاتمة تكون من حظ أمم مهملة غير معروفة ولا مذكورة بلسان، تظل سائرة نحو الظفر العالي، كالحيوانات الحافرة؛ تخترق تحت الثرى أنفاقاً، حتى تظهر فجأة، فتحتل المكانة الأولى من نظام الامم السياسي.

وقد يجد الفلاسفة وأصحاب الجدليات النظرية حيناً في الترويج لفكرة حديثة، أو وضع قواعد جديدة يقوم من فوقها بناء الفن والعلوم أو تقدم المعرفة عامة أو تدعيم أسس التربية، وتكون الأمم منصرفة عنهم الى الحصول على مزايا الاستقلال السياسي أو الديمقراطية والحكم النيابي. ويقع في حين آخر أن ينصرف السياسيون الى الدعوة لادخال الاصلاحات العامة في نظام الهيئات التشريعية والمجالس الشعبية؛ فينصرف فريق من أكبر الرجال مقدرة الى الكلام في اختيار أحسن الاساليب الانتخابية والتمثيل النيابي، ودرس أقوم الصلات التي يجب أن تقوم عليها علاقة الحاكم بالمحكوم، ولكن يقوم في الوقت ذاته شعور جديد يتناول أكبر مجموع من الامة، هو في ذاته عنوان على حياة جديدة تبعثها في الناس نزعة عقلية الى البحث والى الشك فيما يقوم حفافيهم من التقاليد، والى تذوق الفكرة الحرة، وحرية المناقشة والنقد، فتكون النتيجة خلق صورة حديثة في الأدب، أو منحى جديد من مناحي العلم.

والواقع أنك لا تستطيع أن تحتك بدايات كل حركة من الحركات النفسية ، اذا ما انتهت الى غايتها . فقد ظهرت حركات كانت فى بدايتها أمل غامض فى تحسين حالة الانتاج الصناعى أو النجاح التجاري ، غير أنها انتهت بتعديل جديد فى القوى الاجتماعية أدى الى تهذيبات شتى فى شكل الحكم ومدى السلطة الحكومية . وكذلك نجد الامر عند حدوث التغيير الدينى ، فان وضع أساس ديني يكسب أمة من الامم ألفة روحية منظمة ، يرجع عادة الى ظهور شخص معين يلعب هذا الدور على مسرح الحياة . ولكنك تجد بجانب هذا أن تحطم النظم الصناعية والانتاجية ؛ وتقويض دعائم الفن التجاري ومهارة الأخذ والعطاء ، كان لقيام هذه الالفة الروحية تباعاً . وكذلك الحال فى رجال الوطنية والحماس القومى . فقد ترى بعضهم بعد أن حصر مطامعه فى الحصول على الحكم النيابى ، ومدسلطة المحكومين على حساب تحديد سلطة الفرد الحاكم ، تتقاذفهم نزوات جديدة تملكتهم لجاجة وساقتهم الى غايات لم تكن فى حسبانهم ، فكانت النتيجة اعلان الاستقلال التام والانفصال الكامل عن أمة أخرى ، أو عن مجموع من الامم . وقد ينزل فرد حاكم بأمة أقصى ما يمكن تصوره من المضار ويصليها أشد ما تنال الكوارث من الامم ، وتظل الامة ساكنة هادئة كأن لم يكن شيء مما كان ، فى حين تجد أن حكومة أخرى مصلحة ، بقدر الاصلاح ما يكون ممكناً فى حكومات استبدادية ؛ قد ثار عليها الشعب ثورة دموية واستبدل ملكيتها الاستبدادية بحكومة ملكية مقيدة . وثمة حكومتان تتشاحنان على أيهما يفوز بالغلبة من طريق القوة ، وتظلان متشاحنتين حتى تظهر على مسرح الحياة ثالثة مستقلة عنهما نظاما ودما ، فترمى بنفسها فى غمرات الدردود السياسى ، فتفض النزاع ، ولكن بتقسيم جديد فى مدى السلطان السياسى والحدود الجغرافية .

إن الناظرين فى أمثال هذه المفارقات الغريبة ، التى ليست عندى أكثر من ظاهرات طبيعية عجزنا عن معرفة أسبابها الصحيحة ، فنسبناها الى المصادفة كما هى العادة ، قلما يؤمنون بان هنالك نواميس أوسننا ثابتة تحكم فى تسود

الامم وانحلالها . فاذا كانت طبيعة الاشياء الانسانية قد تبلغ من الغرابة هذا المبلغ ، واذا كانت بلاقانون أو سنن تحكمها ، أو روابط ضرورية تربطها ، واذا كان نشوء الامم وسقوطها ، أوظهور الاديان وفناء الصناعات ، أوفقدان الحريات أوقيام النظامات النيابية ، عامتها نتيجة حوادث اتفاقية يتعذر التنبؤ بها أو ا كتناه أسبابها ، فاي مجال يترك فى الحياة الانسانية للغايات أو المثل العليا ، وم تتكون مادة الوحى التى يوحى بها الى قلب الانسان ليجلد ويستقوى ويتغلب فى معركة التناحر على الحياة ؟ وما هو الطريق الذى تستطيع به أمة غذت المدنية وأربت بجهودها الثقافة ، أن تحتفظ بكرامتها ومركزها الذي نالته بدماء أبنائها وعصارة أفكار نابغيها ؟ وماهى الوسائل التى تتدرج بها أمة فى طور الطفولة والغرارة لتبلغ مبالغ الامم العظمى فى مدارج الرقى البشرى ؟ وهل هنالك أية فائدة فى جهد المهيجين ودعاة الفتنة ، أو تضحية الشهداء ، أوجمود المقلدين ؟ وما هى القيمة الحقيقية للجهد المتواصل ، أوضروب الاحتمال التى يلتذ بها ناشرو الاديان ، أو المصلحون الاجتماعيون ، أو رجال الوطنية ، أومحبو الانسانية ؟

(١٧) التاريخ : مراميه وخصائصه

يتوقع الناس أن يتلقوا أجوبة من المؤرخ فيما لوتساءلوا عن آمال النوع الانسانى ومستقبله . غير أن عالم المعرفة قد خضع فى العهد الاخير من تطور الفكر لمبدإ « الاختصاص » أو « تقسيم العمل على حسب الكفايات » ولقد اتجه الفكر نحو تجزيء المعرفة الى أجزاء أو أقسام ، واخضاع كل قسم منها الى طريقة من البحث مستقلة عن الاخرى ، فكانت النتيجة أن تخصصت العلوم وأخذت مراميها تضيق وهنا على وهن وحالا بعد حال .

ولم تنج الدراسات التاريخية من هذا الاثر . أثر الانفراد والاختصاص ، فاخذت ترتد الى حيث تحدها الحقائق والظاهرات التى تتكون من مجموعها « الحالة الحاضرة » لجماعة من الجماعات . ولقد اضطر المشتغلون بالتاريخ أن يحصروا أجل همهم ، ويحددوا مسؤليتهم ، بدراسة المشكلات السياسية التى

تتعرض لها الجماعة ، أي الحالات الادارية والدبلوماسية ـ أي العلاقات الدولية ـ والحروب والمعاهدات، والتوسع الاستعماري من ناحية أو انتقاص أطراف المدى الجغرافي من ناحية أخرى ؛ وشبوب روح الوطنية أو خمودها، أو الوحدة السياسية أو الانحلال القومي ؛ الى غير ذلك من الحالات . فالمؤرخون لم يعنوا إلا بالنظر في الظواهر السياسية التي تنتجها الحياة الانسانية ، حتى لقد قصروا على هذه الحالات جل انتباههم وكرسوا عليها معظم جهدهم وتفكيرهم . وهم فوق ذلك يتجاهلون أو بالاحرى ينصرفون عن درس المؤثرات التي تفعل فعلها الثابت، وتؤدي الى نتائجها المحتومة في حياة الانسان عائلياً واجتماعيا وصناعيا ودينياً وعقليا ، الى غير ذلك من المؤثرات المتباينة التي تؤثر في الحياة الانسانية على وجه عام وفي النظامات التي تدمغ طابعها الثابت في جبين المتجهات السياسية . ذلك لانهم يعتقدون أن درس هذه المؤثرات من واجب غيرهم من الباحثين من رجال الاجتماع والاقتصاد والتربية والتفسير .

ولا شبهة مطلقاً في أن مبدأ التخصيص في تكوين العلوم قد أثر اثره في تكوين علوم جديدة تماما ، ونشأها بأن حدد مداها وخصص مراميها وأغراضها . فأدى ذلك الى بلوغ الغايات العملية التي تنتظر من الاشتغال بالعلوم . غير أن هذا التخصيص وتلك التحديدات ، كان لها من المناقص بقدر ما كان لها من الفوائد . فلقد احدث هذا التخصيص اثراً سيئاً في أن تفقد العلوم ما بينها من روابط الالفة والاتساق والتركيب المزجي . فحال ذلك ؛ أو على الأقل تعذر معه ، استكشاف مبادىء عامة أو سنن كونية ، يمكن تطبيقها تعميما على حالات الحياة الانسانية ، منتزعة من حقائق الطبيعة وظواهرها

لقد استطاع التاريخ أن يزود فرعاً حديثاً من فروع المعرفة بجملة من حقائقه المستجمعة، فكان منه علم السياسة (Political Science) وبذلك استطاع أن يمد المعرفة الانسانية بجديد من العناصر أغناها وأوسع من أفقها . غير ان هــذا التخصيص ، قد أبعد الباحثين من ناحية أخرى ، عن درس آمال الانسان وأمانيه ، وتقدم الحضارات واضمحلالها ، وما يمكن أن تربح الانسانية من حركاتها السياسية ، وما يمكن أن تخسر .

وليس الانسان ، بحيوانسياسي ، في مجموع غرائزه . ولهذا نجد أن الحكومة لاتستطيع ، أوهي تعجز ، أن تكون بمفردها مثالاً يحتذى أو نبعاً يزود الجماهير بما يتطلعون اليه من السعادة وما يريدون دفعه من الشقاء . ولن يكون قدر من المعرفة ، كافياً لأن يزودنا بما ندرأ به هذه الشناعات الانسانية؛ إلا إذا قام على درس كل الشهوات والميول والانظامات وأوجه الحركة والسكون التي تنطوي عليها صدور الناس . وعلى هذا فلابد من أن يظل التاريخ علما ناقصاً ، وأن يبقى عاجزا عن أن يحدس شيئا من مستقبل الجماعات ومنقاباتها الشتيتة ، أو أن يصور ماذا يكون من السبل التي تتمشى فيها خطا الارتقاء الملائمة لحالة ما من الحالات الاجتماعية ، مادام بعيدا عن العناية بدرس الحياة الانسانية في مجموعها ، وظاهراتها العديدة المتكاثرة . لهذا يجب على المؤرخ ، ليصبح التاريخ علماً أن يلجأ الى ماتوحي اليه به سنن الحياة وظاهرات الحياة العضوية . عليه أن يلجأ الى علم الحياة ، البيولوجيا ، Biology ـ فان هذا العلم لدى الواقع أساس علم الاجتماع الحقيقي ، كما انه اساس التاريخ ، ان شاء المؤرخون ان يصبح التاريخ علما . فان التاريخ اذا اقام على علم الحياة ، فانه يصبح قادرا على أن يكون مبادىء تامة جلية محدودة ، ينتزعها من خطا التقدم الانساني ، ومن تكوين الجماعات ، ومن تطور الحضارات .

(١٨) علم الحياة

إن نشوء العضويات على وجه عام انما يرجع الى بضعة أوجه من النشاط الحيوي وبضعة مواد أساسية ، وكلها ضروري لنشوء الحياة ، بما فيها من الظواهر العديدة . أما البيئة أو المحيط الطبيعي فكلاهما ضروري لتزويد العضويات بهذه العوامل التي ليست الحياة إلا نتيجة من نتائجها . ولا يقتصر هذا المحيط الطبيعي على إنه المغذي الاول للعضويات وحارسها الذي لاتنفك له عنه ، بل أنه مجال نشاطها ، كما أنه محل عيشها الذي تتكاثر فيه بالتناسل وإنتاج المثل . وعلى هذا نرى أن الفعل من ناحية ، ورد هذا الفعل من الناحية الاخرى ، بين العضويات وبين البيئة ، هو الذي ينظم كل حالات الحياة في مدى الزمان ، او

«التاريخ» الذي تظل الافراد العضوية فيه شاغلة جزءاً من المحيط الطبيعي .

على أننا نجد أن القوى والمواد التي يتكون منها المحيط الطبيعي كالضوء والحرارة والهواء والماء والارض والمواد الغذائية الى غير ذلك ليست في مستوى واحد من الضرورة لبقاء كل كائن عضوي ونشوئه ، بل الحقيقة أن بعضها قد يكون ذا خطر مباشر عليها أو بالغ أقصى الضرر بحاجاتها الحيوية . وفضلا عن هذا فان بين بعض العضويات وبعض علاقات قد تكون ودية ، وقد تكون عدائية . بيد أن تفاعل قوى الطبيعة وما يترتب على تفاعلها من النتائج ، مفيدة أو ضارة ، موافقة لمطاليب الحياة أو غير موافقة ، هي التي تتحكم في نشوء كل فرد من أفراد العضويات ونمائه على مقتضى السنن المعروفة في علم الحياة . وعلى هذا نجد أن صورة كل كائن عضوي وخصائصه انما تتوقف في مجموعها على طبيعة هذه القوى العنصرية ، ومقدار تأثيرها شدة وضعفاً .

ففي عالمي النبات والحيوان نجد أن تباين الصور والالوان ، والتركيب والخصائص الظاهرة ، وعادات الحياة والمآهل ، وحركة الاطراف والاعضاء الاخرى ، وكذلك طرق التناسل والتربية ، جماعها تخضع لتغاير حالات البيئة أو المحيط الطبيعي ، بل لا بد من أن تكافئه مكافأة تامة . فالنباتات والحيوانات الارضية والمائية ، لكل منها وسائله الحيوية وطرقه الخاصة به ، كما أن لكل منها الصورة الجسمية التي تكافيء مآهلها المختلفة وتوافق محيطها . وكذلك النباتات والحيوانات التي تعيش تحت سطح الارض وقد ندعوها اصطلاحاً « النفقية » — Terrestrial — فانها تعرض لنا صوراً أخرى من الخصائص والصفات ، توافق مختلف الظروف التي تعيش مكتنفة بها .

ولا يتوقف وجود الحياة وحفظ النوع على حياة العضويات الفردية وحدها ، بل الحقيقة أن كل مظهر من مظاهر الحياة انما يتأثر بالمحيط الطبيعي الذي يكتنفها . فان فعل القوات الطبيعية المتشابك الاطراف ، ومحاولة كل كائن عضوي أن يستفيد من البيئة على مقتضى حاجاته وضرورات وجوده ، وتهذيب أعضائه من طريق تمثيل المواد التي يغتذي بها ، عامة هذه الاشياء

و كثير غيرها ؛ تنتج في العضويات ضروباً خاصة من النماء ، وصوراً بعينها من النشوء ، ولاجرم أن حياة كل كائن عضوي وشخصيته انما تحكمها وتؤثر فيها هذه العوامل والنظامات الثابتة ، كما تؤثر فيها مجموعة الحالات الطبيعية التي تنشأ مع نشوء حاجات كل كائن لان ينمو ويتطور . وكذلك الحال اذا رجعت إلى تاريخ كل كائن من العضويات . فانك تجد أن ضروب التهذيب التي تقع في عالم الحياة والتي تخضع في جل الحالات لتنافر العضويات من ناحية ، ثم تآلفها من ناحية أخرى ؛ كما تخضع لمختلف صور تلك القوى المتشابكة التي تخلقها معركة التناحر على البقاء الدائمة في الكون ، لها أثرها ولها دورها الذي تلعبه على مسرح التاريخ العضوي .

فانك تجد أن كل كائن من العضويات لا يستطيع أن يحقق كمال شخصيته في الوجود ، مستقلا بحياته استقلالا تاماً عن بقية العضويات . فان القوى العالمية في مجموعها وفي تشابك حلقاتها وتخالط صلاتها ، هي المرجع الذي تعود اليه كل ظواهر الحياة في كل كائن عضوي ، حتى انك لتجد أن نشوء كائن عضوي (والمقصود هنا النوع لا الفرد) وحريته ، رقيه أو انحطاطه ، مرتبط كل الارتباط بنشوء غيره من العضويات وحريتها و رقيها او انحطاطها . وهذه الحقيقة الاساسية تنطبق تمام الانطباق على عالم الحياة الانسانية .

(١٩) الحياة الانسانية

تخضع الحياة الانسانية لما تخضع له بقية الكائنات العضوية ، تخضع لتأثيرات القوى والمواد الطبيعية . كما أن هذه القوى والمواد الطبيعية تحتكم في حياة الانسان ، بل و تحكمها على قواعد ثابتة . فان نماء الانسان ونشوءه وحريته ، انما تتوقف على منتوج الصلات المتبادلة القائمة بين المؤثرات المختلفة التي يختص بها المحيط الاجتماعي والمحيط الطبيعي . فان تفاعل القوى الطبيعية بآثارها ، حسنة أو سيئة ، مفيدة أو ضارة ، هو الذي يخص كل كائن بشري بصورة معينة ، كما يزوده بقوى عقلية وأدبية خاصة ؛ هي نصيبه من الطبيعة ، غير منازع فيها ، ولا مرغمة عليها .

من هنا نجد أن تكوين الجماعات وتأسيس الحكومات ، وتنظيم طرق التعليم والتربية وتقدم الآداب ، واقامة قواعد الدين ومراسمه العملية ، وعلى الجملة خلق كل المعاهد والنظامات ، وكل مظاهر الحياة الانسانية ، انما تتأثر وتتهذب بما في المحيط من العوامل الاجتماعية والطبيعية ؛ وتتباين بتباين الظروف التي تترك أثرها الثابت في البيئة . شأن الحياة الانسانية في هذا ، كشأن النباتات والعضويات الدنيا التي تتباين تراكيبها أكبر التباين وتختلف خصائصها أشد الاختلاف ، حتى تحوز من المكافأة ما يوافق العوامل الكونية المختلفة . فان اختلاف ظواهر الحياة البشرية وخصائصها ، باختلاف مجموعة المؤثرات التي تكتنفها ، يتجلى ظاهراً بيناً في تباين طرق الحياة ووسائلها . وبهذا يحتفظ الانسان ببقاء نوعه وشخصيته الانسانية ، منصبة في قوالب شتيتة ، جماعها يكافىء الحالات المتباينة التي يحصرها المحيط اجتماعياً وطبيعياً . وعلى هذا نرى أن الدين والحكومة والآداب ، وبقية الظواهر التي تختص بها الحياة الانسانية ، تكتسب بهذه الطريقة خصائص متباينة شكلا وروحا ، لدى وقوعها تحت تأثير مختلف العوامل والظروف .

ان الباعث الوحيد الذي يضطر الانسان الى الخضوع للاعتبارات الاجتماعية والطبيعية ، هو حاجته القصوى الى التوفيق بين ظواهر الحياة ووسائلها ، وبين ضرورات التناحر على الحياة . فالحركات السياسية والدعوات الدينية ، وتأسيس المستعمرات ، وتشييد قواعد الانتاج الصناعي ، وغير ذلك من ظواهر الحياة كلها ، تخضع لعديد وافر من القوى الاجتماعية والطبيعية والنفسية التي تخضع لها الحياة الانسانية في وجودها الكوني . وعلى هذا نقضى بأن نشوء الامم وتقدمها وتحررها واستقلالها ، أو استعبادها وانحلالها ، لا يتوقف على حاجاتها التي يستعصى عليها الحصول عليها لتتقدم وتترقى لا غير ، كما أنه لا يحدث بدياً بفعل خصائصها الحيوية وحدها ، بل يرجع الى مجموعة عوامل كونية ، لو استطعنا اكتناهها ، استطعنا أن نخلق من التاريخ مقياساً علمياً ، نقيس به على الوجه الأكمل مستقبل الامم والشعوب .

وعلى الجملة نقول بأن سعادة أية جماعة من الجماعات الانسانية أو شقائها ، كما أن نماءها أو انحلالها ، وتمتعها بحريتها أو حرمانها نعمة الحرية ، واجماً لا غاية

كل أمة من الامم ونهايتها ، تتأثر بتفاعل كل القوى الكونية التي تحيط بالحياة الانسانية . وهذه القوى تظهر في أقوى مظاهرها من طريق الصلات الدولية؛ التي تقوم في كل عصر من العصور ، وتتركز هذه القوى من حول ، مركز الجذب الاجتماعي ، ونعني به أقوى ميل دولي نحو شيء بعينه . من هنا نجد أننا اذا أردنا أن تتفهم حالات أية من الامم ، فانه من الضروري نحيط بالحالات القائمة في عالم الحياة الانسانية في زمان معين ، وأن ندرس بتدقيق وأناة ، آثار القوى الطبيعية والاجتماعية التي تنشأ من تخالط العلاقات التي قامت بين أمم مختلفة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والعقلية والسياسية .

(٢٠) النتيجة

إن الحقائق التي زودنا بها التاريخ بعد أن يتخذ من علم الحياة ـ البيولوجيا ـ دعامة يقوم عليها ، ستكون ولا شك من الفائدة لعلم الاجتماع بقدر ماتجنى من فوائد العلوم الرياضية الأولى في تركيز قواعد المدنية . والحقيقة أنه ليس من الظواهر المختلفة التي تتجلى في حياة السلالات البشرية والامم ، ماهو خاص بامة دون أمة ، أو قوم دون قوم ، ذلك لأن هذه الظواهر في مجموعها نتاج التأثيرات المتبادلة القائمة بين الامم ، لهذا نجد أن مثل الاخلاق القومية ؛ أنما تتشكل العلاقات الدائمة والصلات القائمة بين الجماعات في عالمي الحياة والفكر .

ونجد من ناحية أخرى أن هذه العلاقات الدولية التي تتجلى في الهجوم ، الدفاع ، والحرب والسلام ، تظهر في مظاهر تختلف باختلاف الزمان والمكان ، وبذلك ينشأ عنها قوميات متباينة منها تتكون السلالات البشرية ، ومنها تنشأ المثل الاخلاقية الشتيتة التي تختص بها كل سلالة من السلالات .

ونجد من جهة ثالثة أن مظاهر الحياة التي تنشأ عنها المثل القومية المختلفة والاخلاق الشعبية المتباينة ، في تغاير مستمر من حيث الصورة والروح ، تبعاً لتغاير الحالات الطبيعية التي تختص بها المحيط أو البيئة .

وما دام في الانسان قدرة على أن يكافئ بين حاجاته وأوجه نشاطه ، وبين الظروف المتغايرة التي يتكون منها ما نسميه المحيط من الناحيتين الطبيعية والاجتماعية ، فمجال الامل واسع فسيح في تقدم الانسانية .

الرجعية الفكرية

وكيف تنظم الدعوة لاحيائها في مصر

ندعو الى حرية الفكر، وندعو اليها بحرارة ويقين . وإذا أراد خصومنا أن تعرف لهم ماهي حرية الفكر، فاننا لا نتلكأ في أن نقول انها التحرر من التقاليد مصروفة الى كل شيء ثبت مع الزمان وتناقلته الاجيال فاكسبه مر الايام وتطاول الاحقاب صفات الثبات والجمود، وألبسته المشاعر ثوبا من القداسة باليا، أو رقعته الجدليات المحضة، والفرضيات الساقطة، بما يرأب شيئا من ثقوب البلى التي أكلت ظاهره وكادت تكشف عن خافيه .

واذا لم يرضهم هذا التعريف فانا نقول لهم إن حرية الفكر هي الحياة، وجمود الفكر هو الموت والفناء. فاذا لم يرضوا عن هذين القولين فانا نقول لهم إننا ندعو الى الحرية الفكرية فاسمين بأنها الطابع الثابت للانسان باعتباره انسانا يعرف مقدار نفسه ويدرك مقدار ما له من قيمة ازاء الكائنات التي تحف به، وان الجمود والرجعية طابع العجماوات والسوائم التي يتغير من حولها الزمان وهي ثابتة على صورة من الغريزة واحدة، حتى يدركها الموت، فلا تترك من ورائها الا رمة بالية، وهيكلا عظميا أجوف لا ينقصه الا الرقوق ليصبح طبلا، أشبه بالطبل الذي فزع منه تلميذ الفيلسوف .

على اني لا أدري كيف أذهب مع هؤلاء الداعين الى الرجعية الفكرية مذهب من يريد أن يناقشهم بالدليل والبرهان، ويقرع لهم الحجة بالحجة، ويضرب لهم البينة بالبينة، وجل سلاحهم القول بأن للحكومة دينا تدين به، وان هذا الدين يجب أن يحمى، وممن يحمى ؟ لا ندري .

كذلك لست أعرف من بين هؤلاء الذين يقولون بأن الدين الرسمي في خطر وان الأباحية (على مايقولون) كادت تقضي عليه وأنه في حاجة الى حماية السلطة الحكومية، من هو على علم بمفترقات الطرق الفكرية التي سالت فيها تيارات الفكر الحديث، حتى نكون اذا مضينا في مناقشته على بينة من أمره وأمرنا . ليس فيهم على ما أعتقد من يستطيع الادعاء بأنه يدرك الفرق بين العلم وبين الفلسفة والادب، ومع هذا الجهل المطبق يدعون أنهم يدافعون عن الدين . ولو أردت أن تعرف منهم ماهو الدين مقيسا بالعلم، لما رفع أحدهم في وجهك بعقيرة البيان . بل استخفى وراء القول بان الدين الرسمي يجب أن يحمى، وان الدين الرسمي هو دين الاسلام .

تؤمن بأن الدين الرسمي هو الاسلام ، ولا إله إلا الله ومحمد رسول الله . ولكن ألا يخجل الناعون الى هذه الرجعية الفكرية من نفس دعواهم ؟ ألا يخجلون من أن القول بأن الدين الرسمي دين الله ودين الملة المحمدية ، لا علاقة له بزعمهم في مناقشة يثيرها عزمي ورشيد رضا ؟ أأصبح الدين من الوهن والخور بحيث يخشى عليه من مناقشة يحاول فيها عزمي إثبات صحة رأيه في مساواة المرأة بالرجل في مرافق الحياة ؟ وضد من يريد هؤلاء أن تحمي الحكومة برجالها وسلاحها وسلطانها الدين ؟ أمن فرد واحد صاح صيحة بمبدأ يخالف التقاليد ؟

واذا كان الأمر كذلك فانا نسائلهم :

(١) من ذا الذي يحمي الدين من الحكومة المصرية وقد نصت على حبس السارق ولم تأخذ بقاعدة قطع يده ؟

(٢) من ذا الذي يحمي الدين من الحكومة المصرية وقد طبقت قانون نابليون في الجنايات بدلا من قانون السن بالسن والعين بالعين ؟

(٣) من ذا الذي يحمي الدين من الحكومة المصرية وقد قيدت سن زواج الفتيات والدين يبيح سن الزواج ولا يحدده

(٤) من ذا الذي يحمي الدين من الحكومة المصرية وقد أخذت بمبدأ الكشف الطبي على مدعيات الحمل ليقرر الطبيب كذبهن أو صدقهن بدلا من أن يدعين الحمل الى سن اليأس وقد أباحته المذاهب المقدسة

(٥) من ذا الذي يحمي الدين من الحكومة المصرية وقد اباحت قتل المسلم في رجل من اهل الكتاب ؟

(٦) من ذا الذي يحمي الدين من الحكومة المصرية وقد جعلت الطلقات الثلاث طلقة واحدة وكان الشرع (عليه العفاء) لايجيز بعدها عودة الزوجية الا بمحلل

ألا فليجيبوا !!!

أليست الحكومة صاحبة الدين الرسمي وحامية ذماره والناضحة عن حياضه هي التي اعتدت عليه هذه الاعتداءات الكبيرة ؟ أليس هذا هو الدين الرسمي للحكومة التي عطلت الكثير من أحكامه مستعيضة عنها باحكام قانون نابليون ، حتى لقد تطرفت في ذلك الى ابعد الحدود فأباحت البغاء وحلت الباغيات رخصاً رسمية ، ثم لم ترجم الزاني ولا الزانية ؟

يا هاميا أظن أنه لا يجدر بان يحمي الدين من أباحية هذه الحكومة الا سمو الأمير عمر طوسون والشيخ رشيد رضا .

كنا نود أن لانفتح مثل هذا الباب وأن نوصده ونشد من ورائه ألف رتاج، لولا أن يداً قوية شدت المزاليج القديمة فافلتت منها روائح الماضي البعيد، روائح ذبيحة النصراني وهل يجوز أن يأكل منها المسلم، و بطلها المرحوم الشيخ محمد عبده، كما كان منحيتها، بطلها اذ نصر الفكر الحديث، وضحيتها اذ تألبت عليه القوات التي يريد اليوم أن يؤلبها ضد الأحرار سمو الأمير عمر طوسون، الذي نبيح لأنفسنا أن تناقشه الحساب على ماتشر وعلى مادعى اليه علناً، مادام قد تنازل سموه وسمح لاسمه الكريم أن ينشر في ذيل مقال في صحيفة عامة.

غير أن أمنيتنا لم تتحقق وأخذت بوادر القلاقل الفكرية تلوح من وراء السكون الظاهري مادام قد نفخ فيها فم (أمير) تجل فيه الامارة، ونجل فيه صلته بالجالس على عرش مصر، وفرض علينا أن لا تمد بطرفنا إلى جلالة تلك الذات الا خشعاً مغضي الرؤوس، فان لمصر علينا حقاً ولعرشها في عنقنا أمانه، نكون خائنين إذا لم نؤدها كاملة

ولكن سمو الأمير عمر طوسون قد تنازل فزاحم الصحفيين في أعمدة الصحف وأخذ يدافعهم فيها بالمنكب والذراع، فلا لوم علينا إذن اذا نحن استبحنا مناقشته مناقشة الصحفيين مادام سموه قد فضل هذه الديمقراطية على أرستوقراطية الامارة.

المحصل أن سمو الأمير عمر طوسون كتب إلى صحيفة الاهرام رسالة مطبوعة نشرت تحت امضائه الشخصي، لاتحت امضاء باشمعاون الدائرة كما هي العادة، موجهة إلى صاحب المعالي وزير المعارف جاء فيها :

حضرة صاحب المعالي بهي الدين بركات بك وزير المعارف

« كتب الينا رهط كبير ينيفون عن المائتين من أهالي الفيوم بينهم علماء ومحامون أهليون وشرعيون وعمد وأعيان وتجار وكثيرون من الموظفين ونظار المدارس الاميرية ومعلميها يطلبون الينا أن نرفع صوتنا لايقاف تيار الالحاد في الدين والخروج عن حدوده بمناسبة المناظرة التي وقعت في كلية الحقوق بين الاستاذين محمود عزمي أفندي والسيد رشيد رضا في مسألة مساواة المرأة بالرجل وما كتب عن هذه المناظرة في جريدة الاهرام الغراء بتاريخ ٩ يناير سنة ١٩٣٠ بقلم أحد محرريها أحمد الصاوي أفندي

ولما كانت وزارة المعارف هي المهيمنة على الجامعة المصرية وما يجري فيها، فانا نلفت نظر معاليكم الى أن ترك الحبل على الغارب للمتناظرين واعطاء الحرية المطلقة للمحاضرين وخصوصا في بلد حديث عهد بالنشوة العلمية كالقطر المصري دون ان

يراعي فى ذلك الشعور الدينى وما يجب من الحرمة للمعتقدات مما يلقى فى روع الأمة سوء الاعتقاد فى الحكومة وانها ترضى الخروج على الدين والاستهتار بنصوصه

« وبما ان الدين الرسمى لمصر الذى نص عليه الدستور هو الدين الاسلامى فيجب ان يكون لهذا النص معناه والا يكون كلاما بغير مدلول . واذا كان الامر كذلك فكيف يسوغ الجدل فى نصوص الاسلام القطعية كمسألة نقص حظ المرأة فى الميراث عن الرجل فى معهد تهيمن عليه حكومة مصر الاسلامية

« على ان المرأة المسلمة لاترى حظها فى الميراث قليلا بالنسبة لحظ الرجل الذى جعلت الشريعة الاسلامية عليه مغارم كثيرة بجانب هذا الحظ اعفيت النساء منها ولم نسمع لا فى القديم ولا فى الحديث من النساء المسلمات شكوى من ذلك . وقد ايدت الزعيمة المصرية السيدة هدى هانم شعراوى هذا بصفتها رئيسة جمعية الاتحاد النسوى عندما طلب منها حضرة سلامه افندى موسى ان تجعل فى عداد حقوق المرأة المصرية التى تعمل جمعيتها على المطالبة بها مساواتها بالرجل فى الميراث فما كان من السيدة الا ان ردت عليه رداً مفحما أبانت له فيه بالادلة والبراهين ان نصيب المرأة المسلمة فى الميراث يجعلها اكثر حظاً من اختها الغربية

« فهل يصح بعد ذلك ان يقول بعض الرجال منا انها لها الحق فى مساواة الرجل فى الميراث وفى كل شئ ، ولا يبالى بما فى ذلك من مخالفة لنصوص الدين الاسلامى الحنيف فضلا عن عاداتنا واخلاقنا وميزاتنا القومية ... الى آخر ماجاء بكتاب سمو الامير الجليل

والقد رد معالى وزير المعارف على سموه بكتاب آخر ننشره هنا بحروفه :

حضرة صاحب السمو الامير الجليل عمر طوسون

تشرفت بكتاب سموكم المؤرخ ٢٨ يناير سنة ١٩٣٠ خاصا بالمناظرة التى ألقيت بكلية الحقوق فى مسألة مساواة المرأة بالرجل وما كتب عنها فى جريدة الاهرام بتاريخ ٩ يناير سنة ١٩٣٠

وانى أشكر لسموكم ما تبدونه دائما من الغيرة على شؤون الدين وسأفحص هذا الامر بالعناية الواجبة لاجراء ما يتفق وقوانين البلاد والمحافظة على حرمة الدين الكريم

وتفضلوا ياصاحب السمو بقبول اسمى عبارات الاجلال والاحترام ،

وزير المعارف

محمد يحيى الدين بركات

والذى نعجب له فى هذا الأمر كله على تفاهته أن الامراء فى عصر النهضة الاوروبية قد حموا حرية الفكر ، حتى أن « لوثر » لم يحمه من سطوة الكنيسة الرومانية الا أمير ألمانى ، اعلن الحرب على البابوية ، ولولاه لما قام لحركة الاصلاح الدينى قائمة . ثم نجد فى مصر أن أميراً خطير القدر عالى المقام يكون داعية ضد هذه الحرية الفكرية ، مصبوبة فى أشد قوالبها تواضعا ، اذ تحاول التعديل الفكرى من ناحية الاصلاح الاجتماعى .

على أننا لا نبيح لأنفسنا ان نناقش الأمير مناقشة الصحفى للصحفى . بل نكتفى بأن نذكره بمقاطيع من الماضى القريب لعلنا نستطيع أن نخفف بذلك من حدته التى ظهر بها كا يظهر الصحفيون أمثالنا على صفحات الجرائد .

يعلم سمو الأمير الجليل أن محاكم التفتيش (رحمها الله ورحم زمانها) لم تكون إلا تحت تأثير شعور قام يتنزى فى رأس أمير . فان القرن الرابع الميلادى كان آخر عهد الكنيسة بالاضطهاد من السلطات الوثنية . فلما أمنت الكنيسة شر الاضطهاد أخذت هى بذاتها تضطهد اعداءها . ومن هم أعداؤها ؟ هم الاراطقة أو الهراطقة ياسمو الأمير . حتى اذا تمخض الزمان عن بداءة القرن العاشر الميلادى وهو القرن الذى اعتقدت فيه الكنيسة اعتقاداً مقدسا أنه آخر الدنيا ، وأول العهد بالآخرة ، زاد اضطهاد الكنيسة للهراطقة ، أحرار الفكر ، ووضعت الكنيسة نظاما تحاكم به أعداءها . فاذا صدرت ضدهم الاحكام ، سلموا الى السلطات الزمانية لتنفذ فيهم مشيئة الكنيسة ، لا مشيئة الله يا سمو الأمير . فكانت القاعدة أن يحرقوا احياء من غير أن تراق منهم قطرة من دم ، شفقة بهم ورحمة !!!

وجاء عصر الامبراطور فردريك الأول وتبعه فردريك الثانى والبابا أنوسان الثالث فزادت اضطهاداتهم وقسوتهم ثم عضد غريغورى التاسع فكرة التفتيش وعهدبها الى الآباء الدومنيكيين . ولقد كان من اسس هذا النظام أن يحضر المتهم للمحاكمة من غير ان يعرف التهمة ليحاكم سريا ومن غير أن يعطى فرصة الدفاع عن نفسه . ولم يقع المؤرخون ياسيدى الأمير حتى اليوم على قضية واحدة من القضايا التى نظرتها محاكم التفتيش حكم فيها بالبراءة على اطلاق القول . هذا النظام ياسيدى الامير قد ألغى الآن ولم يبق له من أثر بعد أن رفع تمثال الحرية على شواطىء أمريكا مشعال النور مستقبلا أمواج بحر الظلمات .

لقد كفلت الدساتير للافراد ياسيدى الامير حرية الفكر والقول والنشر . وأظن

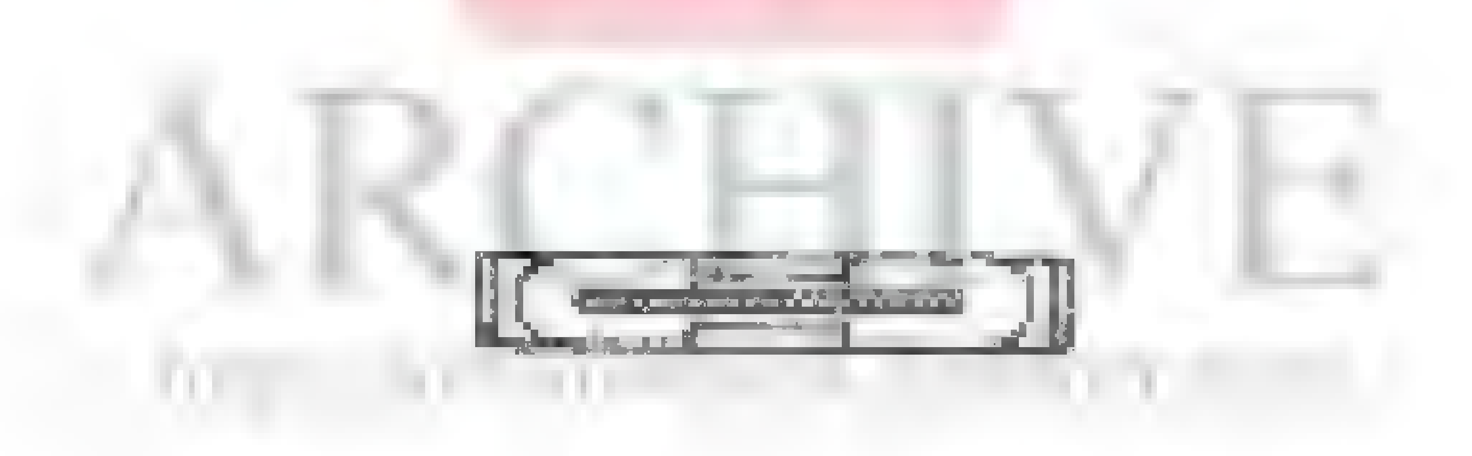
أن رد معالى وزير المعارف على سموكم فيه شيء من ذلك . ولو أنك استشرتنى ياسيدى الامير قبل أن تنشر رد معاليه على سموكم، لاشرت عليك بالاقلاع عن نشره، لانه فى الحقيقة يريد أن يقول إن قوانين البلاد لا تسمح بمثل ماتريد سموك ولكن أدب معاليه اضطره لان يسوق المعنى فى قالب يصح أن يخاطب به وزراء الدولة امراءها .

ياسيدى الأمير نحن فى القرن العشرين . وبالامس كاد لورد كرومر أن يفتش قصر عابدين بجنوده المسلحة،لما علم بأن سمو الخديو السابق حاول أن يكيد لمن يدعى ليون فهمى !!!

ياسيدى الامير . نحن نتلقى الثقافة الحديثة . وز مصر . فاذا ذكرت ذلك ياسيدى الأمير حمدنا السرى وتمثلنا بقول القائل

وألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر

اسماعيل مظهر



نزعة التجديد الحالية فى مصر

وتحليلها فى ضوء نظرية التفسير المادى للتاريخ

بقلم الاستاذ عصام الدين حفنى ناصف معيد علم الحيوان بالجامعة المصرية

العالم يتطور ويترقى ويتقدم الى الأمام فى خطوات سراع ، فمن لازموه فى تقدمه فازوا فى معترك الكفاح لأجل الحياة ، ومن أبوا إلا أن يحتفظوا فى رؤوسهم بعقلية القرون الخالية وأفكار أهلها ونظراتهم فى الحياة ، فهؤلاء هم الذين يتجاهل الجيل الحاضر وجودهم ويطأهم بقدميه

ولقد يتم تطور الشعوب ـ كما يرى هيجل ـ بتأثير الأفكار العظيمة التى يبشر بها دعاة المذاهب الفكرية المختلفة . ومن ذا الذى ينكر التمهيد المنظم الذى مهدت به كتابات جان جاك روسو وزملائه من الانسكلوبديين عقول الفرنسيين للقيام بثورتهم الكبرى . ومن ذا الذى ينكر ما أحدثته كتابات تولستوى وأضرابه من كبار كتاب الروس فى إعداد شعب غير مثقف كالشعب الروسى للقيام بتلك الثورة التى لفحت بلهيبها دول العالم أجمع

لقد أصبح من المسلم به أن الظلم لا يحدث الثورات ، ولكن يحدثها الشعور به ، وإذن فالذى يدأب على لفت نظر أمة من الامم أو طبقة من الطبقات الى ما يصيبها من ظلم كانت غافلة عنه ، لا يقل اشتراكا فى ثورتها عمن يتولى قيادة حركاتها المسلحة

على أن هناك مذهبا آخر يعزو الفضل الاول فى حدوث جميع التطورات الهامة التى يحدثنا عنها التاريخ ، الى تطور الظروف المادية والاقتصادية ، تلك هى نظرية التفسير المادى للتاريخ التى قال بها كل من سان سيمون وكارل ماركس

يرى ماركس ان الافكار المثالية ليست الا انعكاس الظروف الاقتصادية ، وإذن فليست هى الدافع الحقيقى الذى يثير الحركات الاشتراكية وغيرها ؛ وانما الدافع هو تغير ظروف الانتاج

والقائلون بهذه النظرية لا يستثنون منها اية حادثة اجتماعية أو سياسية أو دينية ، فالاديان والمذاهب الدينية ليست الا نتيجة للاحوال الاقتصادية ، وبما أن هذه تتغير

باطراد فلابد من أن تتغير الافكار الدينية أيضا وعلى ذلك فالاديان لن يمحوها الناس، بل تنقطع من نفسها بتغير طريقة الانتاج

وليس ظهور المسيحية كدين عالمي الا منطبقا على هذه القاعدة. فقد محت الدولة الرومانية المتسعة الارجاء عدة قوميات فاختفت الآلهة القومية وأصبحت الدولة العالمية في حاجة الى دين عالمي ، وازداد اتصال بعض الناس بالبعض الآخر بتأثير الانتاج زيادة مطردة ، وبذلك نشأ الدين المسيحي

وكذلك انقسام المسيحية الى بضعة مذاهب ، فانه يرجع الى الاحوال الاقتصادية ، فالكاثوليكية هي الملائمة المناسبة للقرون الوسطى بين المسيحية وحكم الاقطاع ، فلما أفل نجم الحكم الاقطاعي أخذ نجم الكاثوليكية أيضا في الافول وليس الاصلاح البروتستنتي الا ثورة الشعب الناهض في وجه سلطان الكنيسة الاقتصادي فالكنيسة بصفتها أكبر ملاك الاراضي ، كانت عقبة في وجه طريقة الانتاج الآخذة في التقدم ، والشعوب التي قامت بالاصلاح انما دفعها الى ذلك محاكمة الكنيسة الكاثوليكية لمصالحها . يضاف الى ذلك ان الكنائس قد أمعنت في استعمال الدين كوسيلة لتأييد عدم المساواة الاقتصادي

واذا قرأنا كتاب (كلمات في الاسلام) للمستشرق الروسي بندلي جوزي وجدنا به التفسير المادي لاهم الحوادث التي وقعت في تاريخ الاسلام

وقد وقعت ثورة فبراير سنة ١٨٤٨ في فرنسا بتأثير الازمة الاقتصادية الحادثة في سنة ١٨٤٧ فلما تيسرت الاحوال تدريجيا سنة ١٨٤٨ وسنة ١٨٥٠ هدأت الثورة وانتشرت الافكار الرجعية

ولو نظرنا الى الاشتراكية وهي أكبر ما أصاب العالم في القرنين الاخيرين من التطور، لوجدناها ناشئة من اختراع الآلات الميكانيكية وهي أكبر تطور اقتصادي شاهده العالم في نفس المدة

ففي الثلث الاخير من القرن الثامن عشر سبقت انجلترا العالم الى اختراع الآلات البخارية والمصانع الميكانيكية للغزل والنسيج والورق وغير ذلك . وزاد ما تصدره من المنسوجات القطنية الى خمسة عشر ضعفا في مدة عشرين سنة بين عامي سنة ١٧٨٠ وسنة ١٨٠٠ ولكن العمال لم يكسبوا من ذلك شيئا بل الغت الحكومة عام ١٨١٤ قانون سنة ١٥٦٢ الذي كان يحميهم بتحديد وقت العمل ومنعه ليلا وتقدير الاجور بواسطة السلطات الحكومية ولجان التحكيم ، وقد استندت الحكومة في الغاء هذا

القانون الى أن العامل المسكين لا يملك غير وقته فمن الظلم والتهجم على حقوقه أن تتداخل الحكومة فتمنعه من الانتفاع بهذا الوقت الذى لا يملك سواه

ثم طرأت حالة جديدة اذ أخذت المصانع تستبدل العمل اليدوى بالعمل الآلى ونتج عن ذلك انها استغنت عن عدد كبير من العمال ثم استبدلت الباقين وهم من الرجال الماهرين فى الاعمال اليدوية بشبان غير مدربين ولكنهم يستطيعون ادارة الآلات . بل أن المعامل لم تتورع عن استخدام عدد كبير من الاطفال وتكليفهم بالعمل نفس المدة الطويلة التى يشتغلها الرجال البالغون

وقد عم البلاء طبقة أخرى غير طبقة العمال المأجورين وهى طبقة صغار المنتجين أصحاب الحوانيت والمصانع الصغيرة فقد اضطر معظمهم الى إقفال محل عمله ليشتغل كعامل أجير اذا وجد أمامه عملا

وعرف العمال فى الآلات عدوهم الالد فشرعوا فى مكافحتها . واستمر هذا الشعور العدائى نحو الآلات طويلا فقد كتب بعض زعماء نقابة الاوراق فى سنة ١٨٤٤ يقول « الآلات هى المذنبة فى كل ذلك . فقد زجت بكم فى سجون هى شر من الباستيل الباريزى . لقد شردتكم من دياركم لتبحثوا فى الديار الاجنبية عن الخبز الذى تضن هى به عليكم ، وفى تظرى أن كل التحسينات التى من شأنها انقاص الحاجة الى القوة العاملة ، انما هى اللعنة المهلكة التى يمكن أن تحل بالطبقة العاملة ، وارى ان الواجب الاقدس على كل عامل هو أن يعمل بكافة الطرق الشرعية على اقامة العراقيل لمنع استجلاب هذا الصنف فى أى فرع من فروع صناعته »

وطالما قدم العمال ملتمساتهم الى مجلس العموم فلم يقدم شيئا ولذلك بحثوا عن تفريج لكربهم فى مهاجمة المصانع وآلاتها ومن يشتغل بها من العمال . وكان تأسيس النقابات اذ ذاك عملا يحرمه القانون فكانت النقابات تتكون بشكل سرى ولذلك فقد كانت طبيعتها ميالة الى اعمال العنف

وعندما رفض المجلس سنة ١٧٧٩ مشروع قانون بتنظيم حالة عمال الجوارب ثار العمال وذهبوا زرافات الى نوتنجهام فحطموا ما يربوا على ٣٠٠ آلة والقوا بها من النوافذ كما أحرقوا أحد المنازل وبلغت الاضطرابات أشدها فى صناعة الصوف اذ بقيت مناطق صناعية فى غرب يوركشاير وكذا نوتنجهام وليستر ودربيشاير وما جاورها ، من سنة ١٨١١ الى سنة ١٨١٥ مسرحا لاعنف الحركات الموجهة ضد استجلاب الرأسماليين للآلات وقد قامت هذه الحركات عقب جلب عدد كبير من الآلات الحديثة كانت نتيجة استعمالها طرد عدد كبير من العمال

وأخيراً أصبح تحطيم الآلات كالوباء في انتشاره وأخذت جموع العمال تجتمع ليلا وتزحف على المصانع فتعمل فيها يد التخريب

وقاد الحركة في نوتنجهام من يدعى ندلود (Ned Lud) من سنة ١٨١١ الى سنة ١٨١٤ ولم يستطع البوليس والمليشيا (الحرس الوطني) التغلب على الحركة فاستعانوا على ذلك بسبع كتائب من الجيش

وسنت الحكومة عدة قوانين ترمي بها الى مقاومة الحركة ولكنها لم تستطع الوقوف في وجه غضب العمال

ففي سنة ١٧٢٧ جعل الاعدام عقاب من يحطم آلات نسيج الجوارب وفي سنة ١٧٨٢ صدر قانون بعقاب من يدمر آلات أو منتجات صناعة النسيج عامة وفي سنة ١٨١١ صدر قانون بنفي من يدمر مناسج الجوارب لمدة ١٤ سنة ، ثم استبدلت العقوبة في نفس العام بالاعدام . وقد زادت هذه القوانين من شدة الهياج بدلا من تهدئته

فقد هجموا سنة ١٨٢٢ على مصنع للنسيج بدار بالبخار ، كان صاحبه قد بناه سراً فهددوه وأمروه باخراج الآلات من المصنع فأخرجها فحطموها تحطيما ، وفي سنة ١٨٢٥ تأسست نقابة صناعية وأعلنت اضرابا دام ٢٢ اسبوعا أي ما يزيد على خمسة اشهر . وفي السنة التالية قامت ثورة في بلاكبورن وامتدت حتى مانشستر ولم يتمكنوا من اخمادها بكتائب الجيش الا بعد أن حطمت ما يربو على الف نول بخاري ، وقامت ثورة في لانكشير حطموا فيها من صباح الاثنين الى مساء السبت الف نول تقدر قيمتها بثلاثين الف جنيه

قال مارتينو يصف « اسبوع ابريل » بلانكشير « لقد كانت اكداس الشعب تسرع من بلد الى بلد ومن مصنع الى مصنع وكانوا يسرقون المواد الغذائية من أفران الخبازين ومن المطاعم ، كما كانوا يلقون الاحجار على الجنود مفضلين أن يلقوا حتوفهم على ان يتركوا انولهم ، وما ذلك الا لأنهم كانوا مقتنعين باخلاص أن حياتهم ودنياهم متوقفان على تحطيم الآلات »

وقد قام في اوائل القرن التاسع عشر عدد من كبار الكتاب الاشتراكيين يهاجمون حق اصحاب الاعمال في تقرير اجور العمال . نذكر منهم Bray و Gray و Hall و Hodgskin و Thompson و Owen & والمجال لا يسمح بذكر اهم اراء كل منهم ولكنا نعرف على كل حال أن أجور العمال الانجليز قد تحسنت بعد ذلك كثيراً

وكذلك يتبين هنا أيضا أن الظروف الاقتصاديه متى تغيرت تغير تفكير الناس تبعا لذلك ، وتحتم ايضا تغيير نظمهم وعوائدهم . ولن يقف في سبيل هذا التطور أي ارهاب حكومي أو شعبي ، بل أن هذه الوسائل قد ثبت فشلها في معظم ما نعرفه من حوادث التاريخ فان القانون الاستثنائي الذي اصدرته الحكومة الالمانية سنه ١٨٧٨ الى سنة ١٨٩٠ باسم مسمى الاشتراكية الديموقراطية المتنامي الخطورة ، قد أدى الى تعاظم حزب العمال بدرجة محسوسة ، بل أن الشقاق الذي احدثه الزعيم الاصلاحي الديموقراطي برنشتاين في صفوف الاشتراكيين الديموقراطيين قد انتهى تحت تأثير التدخل الحكومي العنيف ، الى فشله وتحولت حركة العمال تحولاً بيناً الى الاشتراكية الماركسية وأهم ميزاتها نضال الطبقات

***

ومتى كان من المسلم به ان الظروف الاقتصادية لابد فاعلة أثرها يتضح لنا انه من الحق محاولة المقاومة للتغير الجديد بل أن الواجب علينا أن نمهد الطريق امام النظم الجديدة كى نوفر على انفسنا تكاليف معركة نحن موقنون فيها بالغلبة للجديد على القديم وبقاء الاصلح الملائم لروح العصر ، على الهرم الذي فات أوانه وأصبح من البله أن نتطلب عودة الشباب اليه

لقد حمل قاسم أمين وغيره من المجددين على الحجاب فقابلهم انصار القديم بصراخهم الديني ، واكتفى النساء في أول الامر بمراقبة المعركة ، ثم أخذن يشجعن المجددين الذائدين عن حقوقهن ، فلما نشبت الثورة المصرية عام ١٩١٩ واشترك النساء فيها بقسط وافر ، أجزن لانفسهن أن يتمتعن ببعض الحرية ، ولما كثر عدد اللواتى يقمن منهن بأود انفسهن كالمعلمات والحكيمات وغيرهن ، لم يجدن مسوغا لبقائهن راضخات تحت نير الرجال ، فأخذن يخلعن حجابهن تدريجيا وأخذ طراز ملابسهن الخارجية يتطور عاماً فعاماً الى أن انتهى وليس بينه وبين الملابس الاوروبية فرق يذكر . ومن المستطاع قياساً على ذلك أن نؤكد قرب الوقت الذي سيكون فيه ذكر الحبرة والبرقع ، مثيراً للدهشة والاستغراب

***

وكان من نتائج التطورات الاقتصادية في مصر أيضاً ، ان سقطت ارستوقراطية الاسرات القديمة أمام ارستوقراطية المال . فلو تقدم رجل من نسل النبي أو من نسل أحد الملوك السابقين ، يريد الاقتران بفتاة وتقدم معه تاجر ثرى فلا شك أن الثرى

يحوز تفضيل الفتاة وابويها ، ولو نافس الاخير طبيب أو محام أو مهندس الخ ، فالفرصة للتاجر الجاهل ، ولو كان يربح ضعف الطبيب أو ثلاثة أمثاله

وعند مانشبت الثورة المصرية نشأت ارستوقراطية جديدة هى ارستوقراطية الوطنية فأصبح الشبان لايعبأون بالحكام والباشاوات والاغنياء اذا كانوا ممن اشتهروا بعدائهم للحركة، وبلغت الاحزاب السياسية من القوة ماصارت تضمن به فوز مرشحها فى الانتخابات ولو كان خامل الذكر ، وهزم الاغنياء وأبناء مايسمى بالبيوتات الكبيرة هزيمة فاصلة ، وقد أخذ مركز هذه الأرستوقراطية الاخيرة يتداعى بعد أن اثبتت الحوادث أن الاغلبية الساحقة ممن يدعون الوطنية ليسوا إلا نصابين مغامرين يتشدون تعميم المادى والادبى على حساب المبادىء التى يتغنون بها

* * *

ومن مظاهر التطورات الاقتصادية الاخيرة النفور الذى يقابل به الشعب رجال الدين والذين يقاومون باسمه كل تجديد أو اصلاح كالغاء الوقف وادماج ميزانية الازهر فى ميزانية الدولة بدل الموافقة عليها بمرسوم ملكى كما هو المتبع الآن وقد أحس رجال الدين بعداء فريق من الامة لهم فطالبة دار العلوم بخلع عمائمهم واستبدالها بالملابس الافرنجية طالبين معاملتهم على اعتبارهم موظفين مدنيين ، وقام الازهريون يطلبون الاصلاح وكاد يتم جزء كبير منه على يد الشيخ المراغى لولا أن قامت الدسائس الرجعية بالقضاء على هذا الاصلاح فى وقت كانت الامة مشغولة فيه بمسائل سياسية هامة

هذا ومن يشاهد الجمهور وهو يرفض الاستماع الى نصائح رجال الدين فيما يختص بالشئون المدنية ، يعرف أنه ليس من المستحيل أن تقوم مصر بفصل الدين عن الدولة على النحو الذى حدث فى تركيا .

* * *

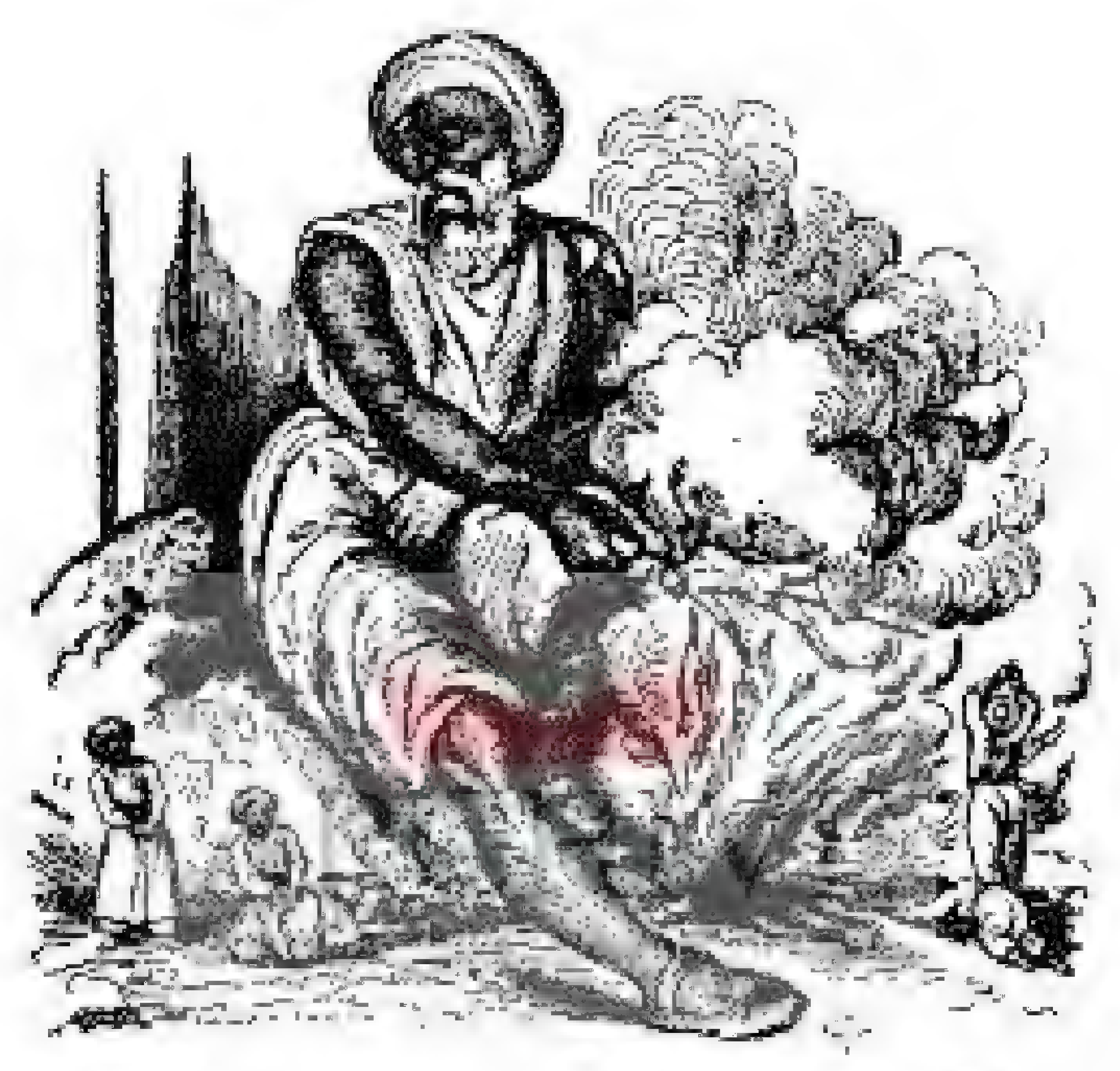
وتتجلى الروح الجديدة فى مختلف المرافق الحيوية، فقد بتنا نسمع الآن الاقتراحات بتحديد الملكية الزراعية والغاء الرتب والباشاوين وانشاء حزب للفلاحين أو للعمال أو حزب اشتراكى ، الى غير ذلك .

وكل هذا سهل ومفهوم اذا رجعنا فى تفهمه الى نظرية التفسير المادى للتاريخ

* * *

على ان ماركس لم يقصد بهذه النظرية أن يطبقها على الماضى فحسب بل انه يريد بها المستقبل قبل كل شىء ، واذن فلنترك الخيالات والاوهام ولنبتعد عن مقاومة التجديد الذى لابد ان يطرأ على جميع مرافقنا كلما تغيرت ظروفنا الاقتصادية

على السفود



والسَّفُّود نارٌ لو تلقَّت بجاحمها حديداً ظنَّ شَحماً
ويَشْوِي الصخرَ يتركُه رماداً فكيف وقد رميتُكَ فيه لحماً ؟

يظهر أن الامور منقلبة على أعقابها وأن النهار المملوء من نور الشمس لا تكفى الشمس نفسها فى الدلالة عليه أحياناً ولن يكون نهاراً لا بالشمس طالعة ولا بالأعين ناظرة ولا بشهادة مراصد أمريكا ولا بساعة جرينوتش فى انجلترا !!!

فقد عاد الشيخ عبد الله عفيفى يقول الشعر ولوأنه نظم مثلا

وقال عفيفى حامداً ومصلياً وصل عفيفى بعد حمد وبسملة
وانظم هذا النظم فى النحو راقى بتسعة أبواب تليهن تكملة

لو قال الرجل مثل هذا ونشر مثل هذا واقتصر على مثل هذا لاحسن من وجوه كثيرة وقيل جاوز مالا يستطيع الى ما يستطيع وكانت هذه وحدها فضيلة تعد له وثوابه عليها ثواب الصبر وفيها على كل حال فائدة ، تسعة أبواب ونكتة ! ! ! ».

أما وهو يعلم حق العلم أنه ليس بشاعر وأن الشاعر لا يخلق على الكبر وأنه لا يذكر حتى ولا مع الشيخ شهاب أو الدرويش أو الليثي أو أبي النصر ولا يطلع شاعراً حتى ولا لأيام الجبرتي ، ثم هو مع ذلك ومع ما بينا له في شعره وصناعته وما بصرناه من أمر نفسه ، ومع أنه غير ناشئ بل مستقيظ ولا هرم بل شاب ، ومع أنه يرى بعينيه حضارة العصر وينظر في نتيجة الحكومة أنها سنة ١٩٣٠ ويقرأ لشعراء مصر وغيرهم من شعراء الاقطار الأخرى ويعلم أن أدباء هذا الزمن بين قارىء لشكسبير وشلي وبيرون وهيجو ولامرتين وموسيه وغوت وشلر ودانتي ودانونزيو وأمثالهم وبين قارىء بشار ومنصور ومسلم وأبي تمام والبحتري وابن الرومي والمتنبي والرضي والمعري وطبقتهم ، مع كل هذا لايتوب عن الشعر ثم لاينظم شعره إلا في أعلى وأسمى المعاني التي يضطرب من جلالها قلم التاريخ ، تحار عندها القرائح الجبارة والتي هي بالطبيعة مبعث الابتكار ومثار الجلال الأدبي ومادة الخلق الجديد في الفن البياني لانها ذات جلالة مولانا الملك فؤاد سيد العصر في كل شيء وبالسيادة ، ولو لم تكن الامور منقلبة على أعقابها ولو في نظر الشيخ عفيفي وحده لما بلغت به الجرءة أن يجني هذه الجنايات الادبية كلها ، فهو مكلف أن يأتي بشعر لا أقل من أن يقال في وصفه إنه لا يقل عن أشعار من ذكرناهم وإلا فشعره جريمة يجب أن يؤاخذ عليها لانه يفضح به مصر وأدبها ويعطي منه للادباء مادة في الفن والصناعة لا يليق أبداً إلا أن تكون مادة إجلال وإعظام ، فإن جعلها غير ذلك بسخافة شعره وضيق فكره وسقم ذوقه وبلادة خياله فهي الجريمة الأدبية بكل معانيها إذ ليس عليه اضطرار أن يحمل مائتي كيلو جرام اذا كانت قوة ذراعيه لا تحمل إلا ثلاثين أو أربعين فان وضع نفسه تحت المائتين عمداً وتحطم خطأ !!! فاهو خطأ بل هي جناية على نفسه جناها

لا يمكن أن يكون مثل الشيخ عفيفي مغروراً الى هذا الحد فهو على كل حال أديب يميز طبقات الكلام ويعرف أن مائة قصيدة من مثل شعره لا تذكر مع بيت واحد من إحسان المتنبي مثلا ويدرك حق الادراك أن أدباء مصر مشمئزون كل الاشمئزاز من صناعة شعره هذا وأن قصائده أصبحت فضيحة بينهم وأنه انما يجمع هذه الفضيحة

بنشرها فى صدر الاهرام بالحرف الكبير . فما هو السر الذى يحمله على الشعر أى التشهير بنفسه ؟

نعم أنه يذكر من ناحية أنه يظهر اخلاصه ولكنه كذلك أفسد هذا الاخلاص فى هذا الشعر . فمثله مثل من يحمله حب الصورة الفنية النادرة على أن يصورها وهو ضعيف فى التصوير ، فحبه حب واخلاصه للجمال اخلاص ولكن الألوان فى هذه الحالة ماهى الا إما آت حمراء وصفراء وزرقاء ومن كل لون . . . .

ولذا رأى الغراب بلبلا يغنى فغنى !!! أفيبس الى الغناء ام يحسن ؟ وهل يقوم فى ذلك عذر رغبته بحرية صوته ؟ وهل من الضرورى بأى غراب أن يتبلبل . . . .

ولكن يقال إنه مع معرفة الشيخ عفيفى بكل ماتقدم فهو مؤمل ان يكون نشر الاهرام لقصائده فى صدرها بالحرف الكبير المشكول اعلانا منها بجمال الشعر واقراراً باستحقاقه التقديم وشهادة الامة كلها بانه لاسيف الا ذو الفقار ولا شاعر الا . . الشعرورى . غير ان الاهرام فضلى أخيراً فى هذا ورئيس تحريرها الذى هو من كبار الادباء يعرف كيف يتكلم بعمله أفصح وأبين مما يتكلم بلسانه أو يكتب بقلمه فنشر القصيدة الأخيرة التى نظمها الشعرورى فى عيد ميلاد سمو الأمير فاروق ثم اصبح فى اليوم التالى ناشراً فى صدر الاهرام ولفيف عجيب صرايا . ماياتى بحروفه

نشيد «عاش فاروق»

عاش فاروق ولى عهدنا عاش فاروق المقتدى
فاروق محط آمالنا فاروق نور المهتدى
رب السما يحفظه لنا على الدوام على الدوام

* * *

ليس فى الدنيا مثاله هو عنوان الفخار
الامة ملتفة حوله ناثرة له الازهـــار
ياربنا زيد فى دلاله على الدوام على الدوام

* * *

ابن العلا بحق منير قـــد انار الارجـا

محي الامال غصن نضير   نال رضا المليكا
رب الجمال ماله نظير   على الدوام على الدوام

* * *

كلنا فدية للوطن   بظل مولانا فؤاد
حامي الشرائع والسنن   ملك البلاد والعباد
رب التواضع والمنن   على الدوام على الدوام

* * *

عاش زهرة الانام   عاش بالعز والدلال
عهده عهد الوئام   سعده مدى الاجيال
فخر الوطن الى الامام   على الدوام على الدوام

ها أنت ذا أيها القارىء أمام شعر عربي من بحر الرجز ... على وزن يقته هندي «الضرب قليب والعروض صوابا».

ولكنك أيضا من هذا المراد الشعري أمام بلاغة سياسية في منتهى السمو هي اعلان الاهرام بهذا النشر انه نثر لا غير وأن صوابا وعفيفي عندها سواء وأنها لا تشهد بشيء ولا تقدر شيئاً وانه لا يجوز لأحد أن يقول شعر عفيفي كيت وكيت لان الاهرام نشرته إلا وجب عليه وجوبا أن يقول ومثله شعر قليب صوابا ...

نحن علم الله لا نعرف الشيخ عفيفي هنا وليس بذاته ولا من شعره ولكنها أمانة العلم وميثاقه الذي يقول الله فيه «لتبينته للناس ولا تكتمونه» ثم المحافظة على سمعة الأدب في مصر وهي اليوم قبلة العالم العربي. ولو لم يكن عفيفي يصبغ شعره بصبغة الديوان العالي الملكي ما بالينا سكت أو نطق لان امثاله كثير في مصر بل في مصر نفسها تاجر كبير في اسكندرية كان ذات مرة في مجلسه بعض العلماء فأراد التاجر أن يظهر في مظهر علمي فلم تكد تعرض الفرصة له حتى انتهزها واحتج بقوله : إزاي يامولانا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أردب ما هو لك ما تحضر كيله ...

* * *

قصيدة الشيخ عفيفي الاخيرة نظمها في عيد ميلاد الأمل الباسم المبارك سمو الامير فاروق حرسه الله وأقر به عين والده المعظم وجعله من أبيه كالضحى من الصبح معنيين في نور واحد. وعنوان القصيدة «عيد الشباب» وهو عنوان جميل ولكن بحث في القصيدة عن فلسفة الشباب وتأثيره وجماله، والصلة بين شباب سمو الامير

والنشء المصري الجديد والآمال المرجوة منهما لمصر وتاريخها ، وما تغتـــذي به عواطف الشعب من جمال ولي عهده وشبابه واجتلاء سحر الطبيعة المصرية الفتية في طلعته الوضيئة الفاتنة ، والوحي للامة بمعاني التفاؤل والفوز ومرح الحياة ونضرتها الخ . الخ . فلن تجد في القصيدة من هذا شيئاً لانها خارجة من قريحة ناضبة بل هي في كونها ليست أكثر من سخافات لفظية تحسبها خارجة من قاموس لا من قريحة.

من شر عيوب هذا الشعرور انه ضعيف الملكة اللغوية جداً وهو مع ذلك رجل لغة ، ومتى اجتمع هذان اجتمع منهما عيب يفسد الأدب شعره ونثره . ذلك بان ضعف الملكة اللغوية إنما هو ضعف القدرة على ابداع التراكيب البيانية العالية من الالفاظ وكون الاديب رجل لغة إنما هو في حفظ جملة الالفاظ والقدرة على استعمالها فقط دون بلاغة الاستعمال والابداع فيه . فاذا اجتمع هذا وذاك وأضطر صاحبهما الى عمل أدبي . رأيته يراكم الالفاظ بعضها على بعض في مجازات حمقاء واستعارات مجنونة يبرأ منها البيان وان كانت تقرها اللغة . أي هي من جهة اللغة صحيحة نقلا وعربية ولكنها من جهة البلاغة هذيان وسخف فكأنها الفاظ في قاموس لا في قريحة اذ فيها عمل القاموس كاملا مستقيما وأما عمل القريحة فناقص مشوه .

وهذه الطريقة هي التي سقطت بالأدب العربي في العصور المتأخرة وجعلته ابرد وأسخف آداب الامم كافة وكان النوابغ الأفذاذ يغطون عيوبها بالنكت البيانية التي لابأس بها والتي هي في الحقيقة مساحيق على وجه عجوز في سن الثمانين أو التسعين ولكن غير هؤلاء ممن لم يرزقوا ملكة النكتة كانوا يصنعون تماما كما يصنع محرر الديوان الملكي الآن فليس لهم إلا سرقة بعض المعاني ومحاولات في المجازات والاستعارات تجيء كما تجيء خلطاً وخبطاً ولبطاً . ومنها في قصيدة الشيخ عفيفي تسام شهابا . سليل الدوحة ا ! برمي الجد : ظلمت العشر . نسقت الاماني . أرخ عناية الرحمن ستراً . وحمك من عزمة الفتيان درعاً اذ تضيء سماحة . تطيب نيلا . وهكذا مكذا لن كل تلميذ في المدارس يقدر على مثل هذا واحسن منه وماهو بلغة في اللغة ولا شعر في الشعراء إن هو إلا تركيب مجرد طوبة على طوبة . فتصور كوخا يبنى بهذه الطريقة ثم ارتق قليلا وتصور ربيتاً ثم ارتق وتصور « المحرر العربي لديوان جلالة الملك » يبنى قصراً بطريقة طوبة على طوبة ويزعمه قصراً فخماً

أعرفت الآن انها أمور مضحكة أو أمور منقلبة على أعقابها وان من واجب الديوان العالي الملكي أن يظهر غيرة على أدب الامة فان لم ينعم على الأدب بشاعر

كالشي فليحم من شعرور كمحروم العربي

اما نحن فسنمضي في نقد هذا الشعرور لانه اصبح من أقوى حجج المجددين الطاعنين على اللغة العربية وأدبها وشعرها فهم يقولون هذا هو قديمكم ليس فيه إلا وحلك دعاً وطرز ثيابا !! ولمن يقال هذا ؟ للجمال الشعرى المتجسم فى طلعة كطلعة الملائكة ولمستقبل الأمة الذى يتمثل فى صورة بشرية سامية وللأمير فاروق .

يقولون هذا هو قديمكم فى الحياة فدعوا الحياة تحكم لكم أو عليكم نعم دعوا الحياة تحكم ولكن بعد أن نخرج من محكمتها ما هو مزور علينا و بعد أن نعلن للجميع إن مثل هذا الشعر إنما هو فى الهندسة البيانية أسلوب طوبة على طوبة لاغير . وان من رجال الأدب العربى من لو فرغ للأدب والعمل فيه لغطى على كثير من فحول أوربا ولكن من نكد الدنيا ان مصر حتى فى كنوز الأدب تحتاج الى (مكتشفين) كأن كل بديع فيها عليه سر من أسرار الموت

* * *

نظم الشيخ عفيفى قصيدته مقلداً فيها قصيدة شوقى فى المولد النبوى الشريف واحسن بيت فى قصيدة شوقى قوله يصف ولادة النبى صلى الله عليه وسلم .

لقد وضعته وهاجا منيرا ... كما تلد السماوات الشهابا

وبعده : فقام على سماء البيت نورا ... يضىء جبال مكة والنقابا

ومن هنا بدأ الشيخ عفيفى قصيدته بقوله :

تسام بأفقها الأعلى شهابا ... وأشرق واملأ الدنيا شبابا

هذا بجانب شوقى شعر مخجل مع أنه مأخوذ منه كما ترى ، وهنا الغفلة العجيبة من الشعرور تدل على انه شعرور وا كثر . .

شوقى يشبه وضع النبى صلى الله عليه وسلم من أمه الكريمة بانفصال الشهاب من السماء والشهاب هو الشعلة النجمية المطرحة فى الجو منقضة فهى منفصلة منيرة ساطعة ماضية قوية رهيبة فالتشبيه محكم منطبق . ولكن عفيفى عكس الطبيعة وجعل الشهاب يصعد . . . وهو مستحيل إلا اذا كان شهابا كالذى يطلق فى الالعاب النارية !!!

وهذا مما تشمئز منه النفس وجعله مطلع تهنئة سمو الامير مما يزيد فى فظاعته .

ثم غفلة أخرى أقبح من هذه فان الشهاب النجمى لا يكون إلا فى ظلام كما هو طبيعى وذلك بديع فى بيت شوقى لان العرب كانوا فى ظلام الجاهلية فولد النبى صلى الله عليه وسلم نورا واخرجهم الله به من الظلمات الى النور ولهذا لا يذكر الشعراء

الشهاب إلا ذكروا الظلمة كقول البحتري: وأضاء في ظلم الخطوب شهاب . وقول الرضي:

لك الهمم التي عرف الاعادي تشب بكل مظلمة شهابا

وقوله : بويت وثوب الدجى شاحب طموح المعالم (سامي الشهاب)

ومن (سامي الشهاب) سرق عقيقي قوله (تسام شهابا) وهي غفلة ثالثة لأن الشهاب في موضعه من السماء يعتبر عاليا ففيه صفة العلو والسمو وهو ثابت على كل حال الى أن ينقض . أما (التسامي) فكلمة تشعر بالتحرك صعودا وذلك محال في الشهاب كما مر . ففي كلمة الشعرور ثلاثة عيوب : سرقة وخطأ وإحالة وإذا كان الشهاب لا يكون ولا يتصور ولا يذكر إلا مع الظلام فلا تجد ذوقا أشد فسادا من ذوق هذا الشعرور

في القصيدة التي انتقدناها له في السفود الثاني كان المطلع (نوح الحمام) وهي تهنئة في عيد ميلاد . وفي قصيدة تهنئة عيد الاضحى التي انتقدناها في السفود الثالث كان في أولها كفر . وفي قصيدة ثالثة (عفونا عنها) ولم ننقدها ليتوب عن الشعر وهي تهنئة أولها

دارة الملك اسلمي ثم اسلمي

كان هذا المطلع مذكراً بقول ذي الرمة :

ألا يا اسلمي يا دار مي (على البلى) ...

وفي هذه القصيدة الاخيرة المطلع ظلام بدليل ذكر الشهاب اذ لا يتصور هذا إلا في ذلك . أما في الشعر إلا السرقة والغفلة وفساد الذوق ؟

ويقول شوقي بعد البيتين :

وضاعت يثرب الفيحاء مسكا وفاح القاع أرجاء وطابا

وهو كلام فقط ولا قيمة له فقلده عقيقي وقال بعد المطلع :

ظليل الدوحة الزهراء عمت بك الارجاء حسناً وارتغابا

فشوقي جعل الارجاء تفوح مسكا والشعرور جعل الارجاء تعم حسنا ! وتعم (كمان) ارتغابا .. ارتغاباً يعني ايه ؟ يقول القاموس ارتغب في الشيء كرغب أراده فاذن عمت الارجاء حسناً وارادة ... واذا كان الحسن يشبه بالنور فيصح لذلك أن يعم الارجاء أي الامكنة فبأي شيء تشبه الارادة حتى تعم الامكنة وهي لا تعم إلا الناس بخلاف النور فهو يملأ الامكنة لا الناس ؟

نعم أن الخلط جائز وبابه واسع جداً حتى قالوا سمك لبن تمر هندي . فعلى هذا فليؤول بيت الشيخ رضي الله عنه . ولا معنى لوصف الدوحة بالزهراء . والدوحة في

الأصل الشجرة العظيمة شبهت بها الاسرة الكبيرة فى عظمها وتفرعها وخروجها بأكلها من جذع واحد هو الجد الأعلى وقد جاءت هذه التسمية فى كلام المتأخرين من أنهم يرسمون نسب الاسرة فى صورة شجرة يسمونها شجرة النسب . والزهراء المرأة المشرقة الوجه وهذه المادة على كل حال لاتستعمل إلا فى البياض واشراقه وتلألئه فيقال القمر الازهر وامرأة زهراء وسحابة زهراء وهكذا . ولكن الشعرور كما قلنا رجل ألفاظ من هندسة طوبة على طوبة فان بحثت فى كلامه عن دقة أو فكر أوفن فانما تبحث عن عيوبه لاعن محاسنه . . .

ثم يقول :

يجمل عيدك الوطن المفدى ويزهى المجد والكرم اللبابا
أعز مواسم الدنيا عليها وأسعدها وأحمدها مآبا

لهذا الشعرور طريقة فى المبالغة الممقوتة ناشئة من طريقته فى ركم الالفاظ بلافكر ولاتمييز ولافن لان المبالغة السمجة صورة من قصور الفكر وذهوله وكونه لايجد مايفطنه ولا ماتحكيه أعنى أنه لايجد المادة التى يخلق منها ما يجد فى أدمغة العبقريين والنوابغ . وحينئذ يشرع مع الالفاظ ولايجد مانعا من أن يجعل لك الجملة فيلا هنديا بنابين ! او على ظهره هودج عظيم فيه مهراجا . . . سمه مهراجا عالى ديوان محرر . . .

نعم أن عيد ميلاد صاحب السمو الامير فاروق حرسه الله يوم من أكرم أيام التاريخ على التاريخ وفيه جمال الحاضر وأمل المستقبل وفيه أمة قائمة تنظر من وراء الغيب الى أمة آتية . ولكن جعل هذا العيد « أعز مواسم الدنيا عليها » أمر يخرج من المبالغة الى سوء الادب السياسى مع ملوك الارض العظام. ويضيف الى ذلك فساد الذوق اذا ذكرت أعياد جلالة مولانا الملك . والشاعر اذا مدح الملوك وجب أن يكون له مع خيال الشاعر فى معانيه دقة السياسى فى ألفاظه وحكمة الحكيم فى أساليبه ومن أجل ذلك كان هذا النوع من المدح أصعب مافى الشعر بكل ضروبه وانواعه وكل الملك الذى يوفق الى شاعر حقيقى يجمع البلاغة والخيال والحكمة والسياسة والشهرة الطائرة والاعجاب العام — انما يوفق الى كنز عظيم بل الى تاج آخر أغلى من تاج الملك لان لتاج الملك عمرا محدودا أما التاج الذى يصوغه هذا الشاعر فهو تاج التاريخ الذى لا عمر له . وكان اسم المتنبى مقرونا فى حياته باسم أميره سيف الدولة فلما صارا الى التاريخ انعكست الآية وعاد سيف الدولة يعيش باسم المتنبى . الامير جاد على الشاعر بالمال والنعمة وذهب كل ذلك وفنى ولكن الشاعر جاد على الامير بالتاريخ الباقى الذى لايذهب ولايفنى

ولما قتل ابن هانئ شاعر المعز بأرض القاهرة حزن المعز حزنا شديدا وقال : هذا الذى كنا نريد أن نفاخر به ملوك المشرق فلم يقدر لنا . فعلى هذه النية السامية النبيلة يتخذ الملوك شعراءهم ويحتفلون بهم لا للشعر ولا للمدح ، كلا ، بل لانشاء النبوغ العالى فى أدب الامة ومباهاة الامم به وتزيين تاريخ الملك بمادته التى هى وحدها جواهر التاريخ وحلاه

وهل كان المعز مغبونا يوم كافأ ابن هانئ على اول قصيدة قدمها اليه بما قيمته من عملة مصرية سبعة آلاف وخمسمائة جنيه انجليزى ؟ انها نية التاريخ ونية الشعور السامى فى خدمة الامة بوضع وسام العقل النابغ على صدر تاريخها تباهى به الامم . اولا ترى الناس ينفقون مائة الف جنيه الى مئات فى انشاء معمل ؟ فاى معمل اعظم واشرف من عقل عظيم يبدع الادب العالى و يزيد به فى مجد الامة ويضع فيه أجمل قطعة من تاريخها

ومن صعوبة مدح الملوك كان شوقى وهو شاعر طائل الفتح يحمل بنصف قصائده غزلا وتسيبا فيوفر نصف المشقة ومع هذا فانه كان لا يجيد من المدح إلا أبياتا معدودة لا تذكر مع المتنبى أو ابن هانئ أو من فى طبقتهما . واذا كان هذا فى شوقى فكيف بالشعرور عقيفى ؟

الحق أن الشعر العربى من هذه الناحية ينتظر نبيا جديدا من انبيائه فلينتظر فلينتظر الى يوم القيامة . . . .

ومن أسخف وأبرد مبالغات الشعرور فى قصيدته قوله يمدح جلالة مولانا الملك ويذكر الطيران طيران صدقى وحسنين بك وهو موضوع جميل حساس لاشتغال الامة به فى هذه الايام :

أمينك أحمد حث المطايا على الافلاك واستاق الركابا

سما بجناك عن حيل الزوايا وعاف العيس والخيل العرابا

وطار على المجرة مستشفا ليكشف عن دخائلها النقابا

هذه ثلاثة أبيات وهى ثلاث فضائح تسقط الامة التى تقال فيها إسقاطا أدبيا اذا كانت هذه الامة ترى ان مثل هذا شعر او ادب . هل هناك مؤامرة يا ترى على تشويه السمعة الادبية لمصر واضحاك ادباء العالم العربى منها بنشر مثل هذا الهذيان بحروف كبيرة مشكولة فى صدر جريدة الاهرام . انى اقول فى صراحة لجريدة الاهرام ان هذا عقوق منها بهذه الامة التى حاطتها ووثقت بها واقبلت عليها - ولكى تدرك فظاعة الابيات تصور انها ترجمت الى الانجليزية ونشرت فى انجلترا وامريكا وقرأتها

تلك الشعوب واطلع عليها الطيار المعظم لتدريج فكيف يكون تأثير هذه المعانى الامرية الخارجة باسم محرر الديوان الملكى ؟

احمد حسنين بك حث البهائم التى تركب !!! وحثها على أفلاك السماوات !!! وساق الركائب !!!

وفى حمله بجلالة الملك ، سما وترفع عن حمل قرب الماء !!! وكره الجمال والخيل الاصيلة !!

وطار فوق المجرة باحثا ليكتشف اسرارها ودخائلها التى لم يكتشفها أحد !!!

يا للناس اى هذيان هذا ؟ بالتدريج احمل معروفا ولاتتهم الامة المصرية المسكينة فان الامة بأجمعها تبصق على صناعة هذا الشعر ولاتراه إلا جهلا محضا وسخافة دونها كل سخافة .

كيف يكون حسنين فى البيت الاول « حث المطايا » « واساق الركاب » وفى الثانى سما وترفع عنها ؟ ليس هناك الا تأويل واحد وهو تشبيه الطيارة بالمطايا !!! بحمار أو بغل !!

« وطار على المجرة » على المجرة او « على » فى النحو تفيد الاستعلاء . يالطيف يالطيف . كأن المجرة عند الشيخ عقيق هى الدور الخامس والسادس فى عمارة !!!

وطار عليها « ليكشف عن دخائلها النقاب » !!! أنشر يارويتر فى العالم حالا حالا ان مصر أرسلت مكتشفا إلى المجرة ليكشف أسرارها الازلية الابدية وان هذا المكتشف هو امين جلالة الملك .

أنا والله لا أتصور فى الفظاعة أفظع من هذا . ولو أن هذا الاحمق الشمرور كان يمدح رجلا عاديا بهذا الجهل لكان مسيئاً اليه أقبح اساءة فكيف ؟ فكيف ؟ ماذا أقول ؟

ان كرة أرضنا هذه بما عليها لو ألقيت فى الشمس لاحترقت وتلاشت فى ثانيتين على الاكثر (١) والمجرة سطح عظيم محيط بالسماء بالغ مالايتصور من الطول والعظم

---

(١) كان من شؤم قصيدة الشمرور على أحمد بك حسنين وكان من عاقبة تجديفه فى هذا الشعر البارد بأن حسنين بك « طار على المجرة ليكشف النقاب عن دخائلها » ثم رعونته فى التسرع بمدح جلالة الملك بأمر سابق لأوانه وجعله ذلك فخراً مصرياً — كان من شؤم هذا كله أن سقطت طيارة حسنين بك مرتين

تسبح فيه الوف من مثل شمسنا . فكيف بالناس يطير عليها (يعني فوقها) احمد حسنين ؟ ثم حسنين هذا لايطير فقط على المجرة للنزهة وشم الهواء ! ؛ بل ليكشف عن دخائلها النقاب . دخائلها وأسرارها وما في باطنها ، وليرسمها في (خارطة) ...

ألا يرى القراء أن الشعرور رجل الفاظ من رجال طوبه على طوبه لاغير ؟

وقبل هذه الابيات الباردة قال يصف الطيار صدق وان لم يسمه وعنى حسنين بك مع أن الاول هو الأول وهو الفائز :

يحوك يرح المصري زهواً ويعلوا النسر فيه والعقابا

من فضلك بالتدرج لا تضحك علينا . فانا جميعا نبصق على صناعة هذا الشعر باشمئزاز كما قلنا لك . هل من الفخر للامة المصرية في هذا العصر الذي نظن فيه أن الطيارات ستكون سلاح الحروب المقبلة أن « يرح طيارها في الجو زهواً !!! » . وهل من الفخر للطيار أن يعلو على النسر والعقاب ... ؟ هل هي طيارة في خيط ياشيخ عفيفي ؟ ألم يبلغك أن الطيارين ارتفعوا في الجو لافوق النسر والعقاب والحدأة فقط بل فوق اربعين الف قدم ؟

ثم قال :

له من كوكبيك منار صدق يضيء له المحجة والصوابا

وفسر (كوكبيك) بقوله في الشرح : الاميرتان فائزة وفائقة . ومع اجلالنا لهذين الاسمين الكريمين الغاليين على الأمة لم نفهم كيف أضاءا للطيار صدق « المحجة والصوابا » . وقد سميت الطيارة بعد وصولها إلى مصر باسم الاميرة فائزة ومع ذلك لم يذكر اسم الاميرة في القصيدة ولاوصف صاحبها تيمن الشعب باطلاق هذا الاسم الحلو الميمون على أول طيارة مصرية . بلغت مصر . وقال يصف صدق

يداعب سابق الآفاق لهوا ويجمشها علوا وانصبابا

أصيب فيهما بجروح ولم ينج من الموت في السقطة الثانية إلا بأعجوبة . وأخيراً أرسل تلغرافا إلى المقامات العالية في مصر يوم ١٤ فبراير سنة ١٩٣٠ يقول فيه : « تحطمت طيارتي سوء الحظ يلازمني » وقصيدة الشعرور نشرت في يوم ١١ فبراير فلا حسنين بك « طار على المجرة » ولا طار على الأرض . وهذا وحده يجعل قصيدة الشعرور في غاية السقوط لو لم تكن ساقطة من نفسها فكيف وهي كلها عبر ؟

لا يزال الشيخ يظن الطيران ، للمداعبة واللهو ، وما دامت قد ذكرت المداعبة فلا مانع من ذكر (الجش) وما هو الجش أو التجميش؟ هو مغازلة المرأة وملاعبتها وقرصها .. فى أى مكان من جسمها . بل هذه المادة باعتبار أصل اشتقاقها فى منتهى الفظاعة وذكرها فى القصيدة غاية الغايات فى قلة الأدب وما على من شاء إلا أن يرجع الى قاموس الفيروزابادى فى مادة جمش فيجد هناك : « رجل جماش متعرض للنساء كأنه يطلب ..

فاذا قيل أن الجش فى بيت الشعرور هو « لسامق الآفاق » . قلنا أن المعنى الأصلى لا يزال باقياً حاضراً للذهن من يعرف المادة وأصل اشتقاقها ثم نقل الجش من المرأة للسماء صناعة لفظية فى غاية السخف ليس فيها إلا الاطوبة على طوبة وهو أسلوب هذا الشعرور

ومما مدح به جلالة مولانا الملك فى هذه القصيدة :

أسيس الله أخلت الأوالى ... وأخجلت المناهل والسحابا

إذا اقتسمت غيوث الخير يوماً ... فمن كفيك تسكب انسكابا

عددت مآثراً لك خالدات ... فلم أتم وأعجزت الحسابا

جلالة الملك أحق الناس بالمدح ومهما قيل فى مدح جلالته فهو قليل باعتبار الواجب له وفى يقيننا أن عرش مصر لم يتوله الى الآن مثله ، ولكننا ننظر فى صناعة الابيات فنرى صاحبها مغرما بالتجنيس فيقول (أخلت وأخجلت) وهذا لا بأس به ولكن فى رأيه جلالة الملك أخجل ماذا ؟ أخجل المناهل أى الأماكن التى يستقى منها الناس الماء وأخجل السحاب ...

نفهم أن الشاعر العربى الذى ينشأ فى الرمل والقفر والجدب يجد المنهل أفضل ما يشبه به الكريم الذى يجود عليه ولكن الآن فى كل بيت فى مصر حتى بيوت الفقراء منهل من « الحنفيات » يصب الماء نهاراً وليلا فضلا من الله ورحمة وله الحمد والمنة

ثم المبالغة فى اخجال السحاب تدل على صناعة ركيكة جدا فهذا المعنى مفروغ منه قد تناوله كل شاعر والمبدع من يبدع فيه شيئاً جديدا لا من يأتى به على هذه الطريقة الصبيانية الباردة . انظر كيف صنع البحترى فيه يمدح الفتح بن خاقان .

وأكبر أن أشبه جود فتح ... بصوب غمامة أو سيل وادى

كريم لا يزال له عطاء ... بغير سنة السنة الجماد

لم يقل البحترى «سحابا» فأصبح الشعرور قال من السحاب مالا يمطر ولا يعطى شيئا ومنه مايقذف الصواعق بل قال «صوب غمامة» ليكون الجود واقعاً و مع هذا الاحتراس الدقيق قال أنه يكبر الممدوح عن هذا التشبيه فشبهه وأكبره فى وقت معاً . ثم مع كل هذا أتم المعنى فى البيت الثانى وجعل الممدوح كأنه قانون طبيعى يهذب الطبيعة ويغير بعض قوانينها .

وفى موضع آخر من شعره يمدح بأنه «مرجو لما ألغيث دونه» فلم يقل السحاب بل ألغيث وهو المطر نفسه ثم عبر هذا التعبير الجميل ليصنع شيئاً بيانيا فى المعنى الذى ابتذله الجميع .

ويقول فى مدح المهتدى .

هذا المهتدى بالله والغيث ملحق بأخلاقه أو داخل فى عدادها

تبارك مانع هذا الذوق ومبسر هذا البيان وكلمة «أو» فى هذا البيت هى وحدها شعر مطرب وانظر كيف صنع ابن دانى لممدوحه .

ليس الصباح «صباحا» مسفرا وبقى شمائله السحاب سحابا

وقال السرى : له فى كل أنملة سحاب تسح وكل جارحة شهاب

وأما «أخجلت المناهل والسحابا» فهذا كلام مخجل ساقط . ولو قال أخجلت بحيرة فكتوريا نيانزا وأخجلت النيل من منبعه الى مصبه لكانت لفظة (أخجلت) وحدها كافية لتهجين المعنى .

وقول السرى «له فى كل أنملة سحاب» هو الذى سرق منه الشعراء المتأخرون كابن معتوق وغيره مبالغتهم السمجة فى جعل يدى الممدوح «عشرة أبحر» ... فيكون ابهام يده اليسرى أمريكا وخنصر اليمنى أوربا وحضرته المحيط الاطلانطيقى

وقول الشعرور : عددت مآثرا لك خالدات فلم أتمم وأنفدت الحسابا

قول بارد أخف منه والله قشعريرة الحمى وأدفأ منه شهر طوبه وألطف جوا منه شهر أمشير !!! و «لم أتمم» بالطيف «وأنفدت الحساب» يابأى . إذن ياسى شعرور حضرتك لاتعرف الحساب ولاتعرف أنه لاينتهى ولاينفد مطلقاً لانك إذا عددت إلى ديشليون أمكنك أن ترجع فتعد من واحد ديشليون إلى ديشليون ديشليون ثم تعود بعد ذلك فتعد على هذا التوالى . وعلى كل حال فانك ستموت وأنت تعد ولاينفد الحساب مهما بلغ عمرك

وجلالة الملك لايغضبه ولايعجبه هذا المبالغة فى مدحه وعدها مآثرا خالدة , والمخلصون

جلالته لا يرون هذا الكلام الاسود ادب قد بلغ الغاية ولا يليق مطلقا ان يخاطب به جلالته.
والمؤمنون بالله يرون هذا القول ان لم يكن حراما فهو على الاقل مكروه كراهة تحريم لان الشعرور اخذ المعنى من القرآن الكريم واساء استعماله ووضعه موضع كذب صرف.

يقول الله تعالى : « ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ».

لا تنفد الكتابة فلن ينفد الحساب لان الأمر إلى أيدى . ومع ذلك قال الشعرور الفني « أنفدت الحساب » وزادها سماجة فقال « لم أتمم » وبلغ منتهى الاساءة حين جعل هذا فى عدد ما أثر جلالة مولانا الملك .

أنا اعلن بكل صراحة وبالصراحة كلها أنه يجب إسكات هذا الشيخ عن المديح الملكى مادام موظفا فى الديوان العالى لان المفروض والمفهوم ان هذا الهراء كله سائغ عند رجال هذا الديوان وانهم يرونه أدبا وشعرا ولو لم يكن ذلك لانكروه على صاحبه واسكتوه عن التمادى فيه لأن اسكاته عن ذلك مما توجبه خدمة جلالة الملك ومما يوجبه حق الأمة على رجال الديوان . وإلا يكن شعر ومدح فذلك أفضل ألف مرة من أن يكون على هذه الصورة التى ياتى والتى . . . .

كل بيت فى هذه القصيدة لهدمه فتحة والمدح الذى فيها سوقى بارد فى غاية السماجة كقوله لسمو الأمير :

هنيأ للعلى مغداك فيها   وفتحك طرقها بابا فبابا

وان كانت طرق العلى فأن جعل الأمير « فاتح طرق » ذوق غريب . والطرق لا تفتح بابا فبابا الا اذا كانت مثل الطرق التى تنتهى ببوابة المتولى وباب زويلة وهكذا على أن المعنى من قول الشاعر المعروف بالغزى :

ألم تركم لأحد من خلال   فتحن الى طريق المجد بابا

وهذا هو الكلام المستقيم لأن الانسان لا يفتح الباب فيخرج منه الى الطريق أما انه يفتح الطريق بابا فهذا على وزن - يعنى البيت خرابا ...

ويقول لسمو الامير :

كسوت الدفتر المسطور ظرفا   وأعليت اليراعة والكتابا

الذى (يكسو) الدفتر انما يغلفه كما يفعل التلاميذ فالكلمة هنا باردة جدا جدا وان كان غلاف الدفتر ظرفا . وما أظن ان جلالة الملك يرضى ان يمدح سمو الامير بأنه بأشتغاله بالدرس أعلى شرف العلم وشرف الكتب . وليتبين فظاعة هذا المعنى وانه

من المعانى السوقية التى تخاطب بها الامراء تقول هب اميرا من الامراء لم يدرس ولم يتعلم ، فهل يكون هذا الامير لم يشرف العلم ولم يعل قدر الكتاب ام ان العلم لم يشرفه والكتاب لم يعل قدره ؟

ويقول : لديك الدهر فانظمه عقودا مفصلة وطرزه ثيابا

وان كان التطريز فى الدهر فهو على كل حال « تطريز ثياب » عبارة سوقية صحيحة ، وفى هذا البيت معنى لانتعرض له وعلى الذين يقرؤن أن يبحثوا

ويقول : سما بنناك « عبدين » المعلى وضاء مشارقا وعلا قبابا

أجل منابت الأقيال غرسا وامنعها حمى وأعز غابا

زكت نعمائه وزكا جناها وطابت فى أرومتها وطابا

وخلاصة هذه الأبيات بعد حذف الحشو قول ابى نواس :

صنائع فاق صانعها ففاقت وغرس طاب غارسه فطابا

وليت مهندساً من المهندسين يفهمنا كيف « علت قباب عابدين » ؟ نعم أنه بسنا الامير يضيء بل القطر كله يضيء بسنا الامير ولكن « علا قبابا » أمر يحتاج فهمه للجنة مهندسين !! والمجاز فى المعانى المعقولة غيره فى الاجسام الجامدة المحسوسة المنظورة .

ويقول :

حلاك ابوك وضاح السجايا وثيق المجد كسبا وانتسابا

وضاح السجايا كلمة عامية لان معناها الظهور فهل كان يمكن فى سجايا الامير غير ذلك ؟ ولا ندرى كيف يمكن أن يفهم أن سمو الامير « حلاه » والده العظيم « وثيق المجد كسباً » ؟ الحقيقة ان هذا البيت تصرف ضعيف فى قول الغزى :

فتى ملك العلى أصلا وفرعا وأحرزها تراثا واكتسابا

وقال بعد ذلك البيت :

تضيء سماحة وتطيب نيلا فتخفى النجم !! والمسك الرضابا

ومع ركاكة هذا الكلام وأنه لايجوز أن يقال لأمير عظيم « تطيب نيلا » لانه هو كذلك بالطبيعة ففيه غلطة لأن الشاعر أراد ان يلف وينشر فجعل سمو الأمير باضاءته « سماحة » يخفي النجم وبطيبه نيلا يخفي رائحة المسك ثم قال المسك الرضاب وهنا الغلطة لانه يقال رضاب المسك أى قطعه الصغيرة فرضاب لابد ان تكون مضافة للمسك والشيخ جعلها هنا صفة للمسك فصار هذا كقولك مثلا رأيت الشجرة الغصون

وانت تريد غصون الشجرة . ثم يقول بعد البيتين :

ومن يك ذا أب كأبيك يعدد الى العلياء انسابا قرابا

اذن لم يمدح سمو الأمير بشيء لأن كل من يكون ذا أب كأبيه فهو مثله ، هذا هو معنى البيت ظاهر كل الظهور فهو بغير المدح أشبه .

اظن نفوس القراء قد انقبضت من « قرقبه » هذا الشعر فيجب علينا ان نروحهم بشعر كنسيم الجنة من قول البحترى فى ولى عهد المعتز بالله :

عليه من المعتز بالله بهجـــة أضاءت فلو يسرى بها الركب لاهتدى
اذا اعجبتك اليـــوم منه خليقة مهـــذبة أعطاك أمثالها غدا
طلوب لأقصى الامر غاية جهده اذا قلت يوما قد تناهى تزيدا
بقيت ترجيـــه وعاش مؤملا راعى اتصالا من حياتك سرمدا

أرأيت كيف يصور نمو الفضائل والخلائق يوما بعد يوم بنمو العمر ، وكيف يدعو الشاعر للامير ولابيه الخليفة ؟ فاقرأ الآن كيف دعا الشعرور فى ختام قصيدته :

أبا الفاروق عشت وعاش بدرا بغير لزابك ، السبل الصعابا ،!!!

ولنسكت هنا فالسكوت عن شرح هذا البيت كما قيل فى المثل التى حفظناه فى المدارس : الصمت زين والسكوت سلامة .

(حاشية) قيل لنا ان الشعرور ابن عفيفى يباهى بقصيدته الاخيرة ويزعم اننا سنعجز عن نقدها - مسكين الشيخ عبد الله عفيفى فليتفضل حضرته وليقرأ ليعلم أن قصيدته هذه أسخف من كل ماتقدم . ومسكين أيضا لأنه مظلوم يعرف أنه لايذكر ولايفلح وليس فيه موهبة من مواهب العبقر يين ومع ذلك يدفعه (البعض) لعمل هذه القصائد و يغريه بالوعود . ومسكين مرة ثالثة لأنه لايعرف أن هذا (البعض) يقصد من وراء ذلك — كما يقال — ان يؤثر على منزلة أديب كبير راسخ فى علم الأدب

ومسكين ابن عفيفى مرة رابعة لاننا عزمنا ان نجعله موضوع الجزء الثانى من السفود ونطبع هذا الجزء تسجيلا لحالته التي اندفع فيها جاعلا نفسه مظهر أدب رسمى بانتسابه للديوان العالى الملكى ونشره قصائده السخيفة بهذه الصفة فليتحفنا حضرته بقصيدتين أو ثلاث قصائد جديدة ولله الشكر !

شيطانه بنتئور

(الحادثة الثانية عشرة)

قال المدهد خرجت في أصيل الغد الى الفسطاط في الحلة التي قضاها الشيخ لي واختارها . وأنا لا أعرف العجوز ولا دارها . ولا أدري كيف أملك مزارها ، أو أجد من يحدثني أخبارها ؛ وانكر على الاستاذ هذه التسمية ، وأعذله على اختياره النعت على التسمية ، فجعلت أمشي فانا في هذا البلد ، غريباً في ثيابي ، تزدحم شفاه العامة على يدي بالتقبيل ، ويتنحى الخواص حيث أسير ، وأنا أغبط في نفسي رؤساء الديانات بهذه المكانة في النفوس واحسدهم على هذه المنزلة في القلوب ، وأنظر سلطان الرغبة كيف يعلو على سلطان الرهبة ، وأرى الملك الكبير ، ذلك السرور ، وقد راقني وادهشني اني لم أر عربيا ظهر لقومه أو للمسلمين من أهل البلد في مظهر رئيس روحي أو مسيطر ديني ، وفي الفسطاط كثير من صحابة النبي الذين يتعلم الدين في بداية منهم ، وتؤخذ أصوله على حقيقتها عنهم ، بل وجدتهم كما أن العرب في مصر جنود الخلافة ، وأنصار الامانة ، واعوان الحكومة الاسلامية ، يعزون الاسلام آونة بالجهاد ، وآونة بحسن السيرة في العباد ، لا يلتمسون الكرامة ، في تكبير العامة ، ولا يوسم أحدهم بولاية ، وهم مصابيح الهداية ، وعلى عهدهم ظهرت الآية . دائبون في خدمة الدين لا يألونها صبرا يغتربون من أجله ، ويقاطعون الدنيا في وصله ، ويعلقون بعض الايادي وكرائم الصنائع في أعناق الامم بمن يأتي بعدهم ، قدم في الشام ، وأخرى في العراق ، ولواؤهم على النيل خفاق ؛ ويدهم بالامر في الروم انطلاق ، وحكومة تنتظم سائر الآفاق ، وهكذا العلماء لا يخفى عنهم علمهم ، ولا تثبت لهم هذه الصنعة العالية في نظر الجماعة حتى يجمعوا بين المدارك ، الهمم ، وتنقاد بازمتهم الحياة العملية في الامم . يرشدون الناس بالعلم مرة وبالعمل مرارا ، ويعرفونهم كيف تطلب الدنيا بالعقل ، وتركب الحياة الى المحيا السهل ، وتتزود النفوس من المجد والفضل

للعلم أهل ليس يألونه　　　أخذاً ورداً فى شؤون العباد
لهم مراد لاينالونه　　　حتى ينالوا غايتى الاجتهاد
العلم فى أنواعه كلها　　　والعمل الموصول فيما أفاد
فى خلفاء الله من قبل ما　　　ينبيك ان العلم للخلق هاد
كانت تفيض الارض من علمهم　　　فى الحكم أو فى الوعظ أو فى الجهاد

فيا لله أصبح يحمله من لا يبذله ، وصار يدعيه من ليس يعيه ، وما المسلمين مختلفين فيه ، فريق يرى النافع الراقم منه ما كان مقصورا على الشريعة منحصرا فى فقهها مردودا الى المذاهب الاربعة فيها ، و التقى النقي من هذه الفئة من عادى لغات الغربيين وهى التى يتهى بها فينا معاشر الشرقيين ويؤمر ، واحتقر علومهم وفنونهم وهى التى نفاضل بها فنفضل و نقاوم بها فنخذل . وتقتلنا كل يوم بلا قتال : وفريق يهجرون علوم الدين وآداب اللغة العربية الى لغات لم تجر بها ألفاظ آبائهم ، وآداب لم تقم عليها حياة أجدادهم . ولم تؤلف بعد فى بلادهم وان أمة لا تجتمع على لغة ولا ترجع الى جامعة من الآداب القومية ، ولا رابطة من الاخلاق الملية ، ليست على شئ من الحياة وان جمعت فيها معانى الفضائل .

أرى جوامع الشعوب أربعا　　　أمرهم بدونها أن يجمعا
الدين فى آدابه . متبعا .　　　والجنس لا محيا ولا مضيعا
والعلم يهديك الى ما نفعا　　　ولغة يفهمها من سمعا

تكون فى الغالب والعلم معا

قال الهدهد . ومازلت فى تنقل واستقراء ، وتجول واستجلاء ، ومشى على قلق وعناء ، حتى أعييت بضالتى طلبا وسعيا ، فصحت لا انشدت تلك العجوز ولو أنها الدنيا ، وهنالك مرت يد على كتفي فالتفت فرأيت النسر يعتذر عذر البرىء ، وسمعته يقول نعم هى الدنيا وأنت فى الطلب ، وستراها وتسمع حديثها عن كثب ، فقضيت من مقالته العجب . وقلت اذاً أغفر لك ابطاءك ، ولا استنكر استهزاءك . ومن لى أن أجتمع بفاتنة الانام ، انى ماروئيت الا فى الاوهام ، ولا تمثلت الا فى الاحلام . قال وهذه دارها واشار الى خرابة على الطريق

من بقايا الرومان . قلت وما يلجئها الى هذه الانعزال والاستتار ، ولو شاءت لسكنت الاسماع والابصار . قال ليس لها الا ماتسترد ، وشيمتها أن لاتسترد النعم ، حتى تحولها الى نقم . تعطى القصور عالية ، وتأخذها أطلالا بالية . قلت ونحن نتقدم اليها الآن يامولاى . قال ادخل عليها هذا الاثر ، وانا على الاثر . وتدلل عليها فى الخطاب ، ولاتخشها انها فى سجن ابن الخطاب .

قال الهدهد فتقدمت وحدى حتى جئت باباً صغيرا ، فلم أطرقه بل عالجته ، فانفتح من نفسه . فاذا أنا لدى عجوز أكل الدهر لحمها ، وادق عظمها وجمع كالقوس جسمها ، وشيب كل شعرة فى بدنها ، حتى شعرات فى أذنها . وهى تنوء بسلاسل الحديد وترزح فى أسر شديد . فضحكت من منظرها وباداتها بالخطاب فقلت أيتها الامة المضطهدة ، والعجوز المقيدة ، كيف حالك . وعمر قد انتقم منك للزمر ، ونعى عليك بعد النبى ، وأمر . لئن حبسك فطالما حبست رزق الرجل الفاضل ، وقيدت نفس الحر العاقل ، وملكت الناقص رزق الكامل . فاستضحكت العجوز ثم قالت ، من هذا الذى شمت بجدة الناس ، وأم الكل فى الاجناس ، الاثنين ابن الخطاب صاحب هذا الامر ، وابن عبدالعزيز عذر بنى أمية ، لوقام لهم عذر . قلت ولاناس الامن ذ رت ، ولاأناس الامن عميت . قالت ولايغرنك أيها الفتى أن الذل شعارى ، وانى عاجزة عن فك أسارى ، فو الذى سلطنى على عباده ليبلوهم أيهم أصدق عزما ، وأجمل صبرا ، وأقصد اليه سراً وجهراً ، سامالك عمرا لا الظواهر ، ولى التسلط على السرائر ، والسيطرة على الضمائر .

وليس هذا الذى ترى فى ملك ابن الخطاب من زهدفى ، وتجن على ، واساءة الى ، الاغاية وتنقضى ، وحال من أكره لامن رضى . عمال فى مداراة الخليفة ، يوجسون منه خيفة ، ورجال يلبسون لكل دولة لبوسها ، يأخذون نعيمها ، ويذرون بوسها ، زهاد فى دولة الزاهد ، شياطين فى زمان الفاسد .

وبينما نحن فى الكلام دخل النسر فوقف بين المهابة للعجوز ، والاكبار ثم خاطبها فقال :

أيتها الحاكمة فى البشر ، من غبر منهم ومن حضر ، والآتى منهم المنتظر ،

مالقيت من عمر . فى ظلمات هذا الاثر . قالت أضيق الامر ، و أعظم الامر ، فانها حال تحول ، و نازلة عما قريب تزول . ثم افتك فى هذه الامة فتكا ، و أصير هذا الامر تقتتل عليه القبائل ، و تتلاعن من أجله البطون ، و تتفانى فى طلبه الشعوب ، و لا ازال كذلك حتى أشقى مرة أخرى فزمن ابن عبدالعزيز ، ثم يخلو لى الجو الى الابد ، و احكم فى المسلمين الى الامد . قال بحق عمر عليك الا وصفت لى الاربعة الخلفاء . قالت

أما أبو بكر فاخذنى كما تؤخذ الاماء ، و خرج منى خروج الانبياء ، ضرب على يدى أن أفسد هذا الامر حين الفرصة سانحة ، و الصفقة رابحة ، والامة جامحة ، الى الفتنة جانحة .

و أما هذا الذى اعذب فى أسره ، و أبلو المر من معاملته ، فاشدهم اعراضا عنى ، و أ كثرهم فرارا منى ، لم يرضنى أمة تشرى ، و لا اقبل فى طريقا الى الاخرى ، ولا ازال حتى يخرج منى خروج الانبياء .

أما ابن عفان فاتقرب اليه بقرابته ، و أمهد الفتنة تمهيداً فى خلافته ، و لا أزال به أتناوله أنا و ذويه ، حتى أزول عنه الى على أزهد الناس فى ، و ا كثرهم اساءة الى ، فيفضحنى فى كلمه ، و يقبحنى فى حكمه ، و لا يرضى بى لنفسه . قسما ، و لا للغير غنما ، ينافس فى معاوية و نفسه عنى راغبة سالية ، و لا يزال يعمل همه فى جمع أمر الامة وحفظ امرة المسلمين فى بيت النبوة ، و أنا أروغ بالنفوس منه ، و أحيد بالقلوب عنه ، حتى يخرج منى و ليس فى يده منى هباء ، كما خرج من قبل الانبياء . قال الشمر فكيف انت بمعاوية

قالت فطن داهية ، مختلف فى السر والعلانيــة . لا يزال يهجرنى الى الدين ، و يهجر الدين الى ، و هو فى خاصة نفسه احرص الناس على ، يتسمم من نعيمى لنفسه و لذريته من بعده ، و يتخذ الآخرة طريقا الى ، و كنت طريق السلف اليها ، حتى اجتمع له ولاته و اعوانه ، ثم أزول عنه وقد استرقنى بنى أمية يصيبون فى خيرا كثيرا ، و يتوارثونى ملكا فى الارض كبيرا .

قال وأنت ظل الملك حيث كان كنت ، و اين سكن سكنت . قالت إذا الملك والملك أنا ، ومامضى بى فى الارض من آذانى بشامل عدله و ساقنى بحسن سيرته ،

الازلت عنه على عرشه ، أوقاطعت ذريته من بعده . وهذا هو السر فى كون الملوك الصالحين العادلين فى التاريخ لم تستقم لا كثرهم الحال فى أواخر حكمهم، ولم يقم من عقبهم من أحسن السلوك ، أوسار سيرة تليق بالملوك .

(قال الهدهد) ثم التفت النسر الى وقال : دونك أيها الهدهد هذه الصحيفة الناطقة ، وهذا التاريخ المتكلم . فسل ماشئت ؛ واستفسر عما شئت من فائدة تستجليها ، أو حكمة تأخذها . فاستقبلت العجوز وأنا أعجب من حفاوة الاستاذ بها ، واستغرب من هذه المبالغة فى خطابها . ثم قلت صفحا أيتها الدنيا عن هفوتى ، وانسى لى جفوتى،وخبريني أي الناس أحب اليك،وأيهم أبغض عليك .

قالت أحب الناس الى أبغضهم على الله ، وأبغض الناس الى أحبهم الى الله قلت ومن أبغضهم الى الله ، ومن أحبهم اليه . قالت أبغضهم الى الله العالم المفتون وذو الصنع الممنون ، ومؤتمن يخون وأحبهم اليه العامل عن علم ، المتواضع فى رفعته ، العاف على مقدرة الذاكر الموت ، المستعد له . فهذا الذى يرجى لعظيم الاعمال فى الدنيا ولصالحها فى الآخرة .

قلت عظيني أيتها العجوز . قالت خلقت أضل ولا أدل ، وأفسد ولا أرشد وما مثلى الا كالنار تهدى الناظر من بعد اليها ، وتحرق المتهافت عليها . قلت أي الامم بك أعلم ، وأي الحكماء فى وصفك أحكم . ؟

قالت الامة التى جاء فى كتابها المنزل بلسانها فى جملة وصفى (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) والتى يقول فى شاعرها : —

وما الناس الاهالك وابن هالك وذو نسب فى الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

قلت عرفيني بعض صفاتك ، وصفي لى شيئا من آفاتك . قالت : أنا المانعة المانعة ، الواصلة القاطعة ، أقبل لاشاملة ، ولا كاملة ، وادبر لامنذرة ولامعذرة صفوى عند كدرى ، وكدرى عند صفوى ، اؤنس الملك فيشقى ، وامنى السوقة فترضى . وأنى الا من المطمئن من حيث لا يتقى ، وأصيب اللاهى الناعم فيما يؤنسه فى خاصة نفسه ، لامايظهر للناس من أنسه . ألسنة الناس فى سبى ، وقلوبهم مملوءة من حبى ، يخالط بعضهم فى بعضا ، وما أضمر أحدهم لى كراهة ولا بغضا . من زلت عنه استفاد ، ومن اتسع منى استزاد . ولاحي الا له فى مراد

العقل من أحتذى أحتذا ، ونبذنى نبذا ، ولم يقف فى طاى بين التقنع والجهاد . فن أحتذى فبالمراد الغزير ، والجهاد الكثير . ومن نبذنى فبالاعتقاد المستقر والسلوان المستمر ، لايرغب مع الاخرة فى ثمين ، ولا يؤثر عليها المال والبنين ومتى كان كذلك فله لا للمتنبى أن يقول :—

كذا أنا يادنيا اذا شئت فاذهبى ويانفس زيدى فى كرائهها قدماً

قال الهدهد وكنت أصوب النظر فى العجوز واصعده ، فأراها تلبس حالا عن حال ، وتصير من غايات القبح الى نهاية الجمال . ثم نهضت من السلاسل والاغلال ، وتمثلت لى وللنسر غادة كالمثال ، فلما رآها الاستاذ دق يداً بيد وقال ، قضى الامر وقتل عمر واستقبل العرب الدنيا واقتتلوا على الملك ، وجاءتهم الفتنة من كل مكان . قالت كذلك هم منذ الآن . ولا ازال حتى أجمعهم على نسب بيت منه خرجوا ، وفى ظله دبروا ودرجوا ، وبه ظهر غيرهم ، وعليه بنى ملكهم ، ثم لاازال حتى يحكم فيهم من يدنى بالقرآن ، ثم لا أزال حتى يغلهم الهمل من العجم على أمرهم ، ويسلبوهم مابأيديهم ، ثم لا أزال حتى يتفرقوا فى البلاد ثم لاأزال حتى يمسوا كأن لم يكونوا شيئا مذكورا ويبقى قرآنهم ولسانهم خالدين على الامد ، منشورين الى الابد .

قال الهدهد ثم انطلقت الدنيا من أسرها وتركتنا نقضى العجب ، من امرها ، فالتفت النسر الى وقال : لاخير فى هذا الامر بعد عمر ، ولا مقام لنا فى ملك هذا الذى يموت عن عبيد وأماء ، وضياع وتراد ، وأثاث وكساء ، بعد ماظلم أبا الزهراء ، وآثر على الخلافة الخلفاء ، وأراق ماشاء من دماء ، ثم التى المعذرة ، والدنيامدبرة ، وطلب المغفرة ، حال الغرغرة قلت ومن تعنى يامولاى قال ابن العاص . قلت ذاك الذى أبلى بالامس فى الجهاد ، وجلس للحكم بين الناس مجلس الزهاد ؟ قال كانت نفسه كالدنيا مغلولة الى حين ، ثم فكت بموت أمير المؤمنين . وتناءب النسر عند ذلك فخشيت أن تكون هذه النومة الكبرى وأن لا أراه مرة أخرى فسألته عن الملتقى فقال بمصر بين الجزيرة والجسر فسررت بالموعد وبشرت نفسى بأصال مستعادة أقضيها مع النسر فى استقراء واستفادة .

تقرير عن النهضة الفنية

مقدم من الجمعية المصرية للفنانين المصريين الى
البرلمان والحكومة والقائمين بأمر الفنون الجميلة

من عام مضى زار مصر فنان ايطالى ذائع الصيت هو الرسام (ج . جارتسيا) وإذ صادف قدومه موسم المعارض الفنية أراد أن يستطلع فيها مبلغ استعداد المصريين للنهوض ثم كان له حديث بعد ذلك نشر فى صحيفة كبرى نود لطلاوته أن نلخصه وأن نستهل به هذا التقرير قال (ان العالم الآن يكاد يتطرف فى العناية بالفن والفنانين بعد إذ أدرك أن الفنون الجميلة هى فى الواقع نواة الرقى والتكوين وواسطة التدرج فى مراقى العظمة والسمو . وانها هى الاداة التى تخلق فى الانسان هبة الذوق وتثبت فى النشىء أصل الميل إلى التنظيم والتنسيق كما تدنينا جميعاً من حل لغز الحياة وها أنذا أزور مصر المرة الثانية فأجدها بعد أعوام اثنى عشر من زيارتى الأولى لها . وثابة فى هذا الميدان . وثابة بشكل يذكرنى على الفور بماضيها الفنى الخصيب ومجدها الابدى الرهيب

ولكن هناك أمراً يجب التوفر على تحقيقه قبل فوات الفرصة ذلك أنه من الواجب أن تعنى وزارة المعارف المصرية بتنظيم شئون الفن الجميل لا بمعونة رجال العلم أو الجاه فقط بل بمعونة رجال الفن المصريين . فقد رأيت لبعضهم هنا لوحات تفيض بالحس والتوفيق والاستعداد ، نعم ويجب أن تتكون فى الوزارة وحدة فنية قائمة بذاتها مستقلة بميزانيتها يديرها رجل رشيد ويشرف على نواحيها المختلفة رجال الفن أجمعون — فئة لمعاهد الفنون الجميلة وأخرى للمتاحف وثالثة لدور الآثار ورابعة للمحاضرات وهكذا) .

هذا قول زائر أجنبى فينا وانه كما يبين قول خالص نزيه فلننظر ماذا يقول فينا بعض القائمين بالحركة الفنية وما تقول أيضاً جمعية محبى الفنون

ٌ ٌ ٌ

فى عام ١٩١٩ أقيم بالقاهرة أول معرض للفنون الجميلة بايدى الفنانين المصريين الذين بدأوا يدرسون الفن منذ ربع قرن على المدرسة التى أسسها صاحب السمو الامير

يوسف كامل — فكان هذا المعرض أول نداء جميل رددت صداه النفوس — أتبعه الفنانون المصريون بإقامة المعارض السنوية حتى عام ١٩٢٤ حيث تأسست جمعية محبي الفنون الجميلة وأعلنت تطوعها لنشر روح الفن الجميل كما سجلت غرضها هذا بقانون جاء في بنده الثاني ، غرض الجمعية تشجيع الفنون الجميلة بإقامة المعارض وإلقاء المحاضرات وبكل وسيلة أخرى .

فلم يسع الفنانين المصريين إلا الترحيب بالجمعية الجديدة حيث أن وجودها يمكنهم من التفرغ للبحث الفني والإنتاج وفعلا بدأت هذه الجمعية إقامة المعارض السنوية من ١٩٢٤ إلى ١٩٣٠ ولم يكن هناك شيء يعوق استقرار الحركة الفنية لولا أن الجمعية حادت عن المبادىء السامية التي تأسست عليها

فبدلا من توجيه العناية إلى مصر وقفت كل جهودها على خدمة أوربا وبدلا من أن تعمل على التعاطف بينها وبين الفنانين المصريين كانت تستأثر الأجانب بهذا التعاطف كما تغمرهم بكل أنواع التشجيع .

خذ مثلا معرض القاهرة ١٩٢٧ وكان مليئا بأعمال فناني مصر الممتازين — أنها لم تقتن من تلك التحف المصرية شيئا يذكر متذرعة بأن مبلغ الحكومة للتشجيع وزع أكثره في معرض جماعة الخيال (الخارجة على جمعية محبي الفنون) عام ١٩٢٧ كما أن الباقي وهو ٢٠٠ جنيه مخصص لشراء لوحات من المعرض الفرنسي الذي على المعرضين في ذات العام . فشوقنا ذلك إلى رؤية اللوحات الفرنسية ونسينا أنفسنا .. حتى إذا أقيم المعرض الفرنسي ورأينا أن أكثر لوحاته من الفن الحديث الذي خرج فيه أصحابه على القواعد والأصول كما خرجوا على الطبيعة في الأخذ والتمثيل .. لم ندر إلا وقد تضخم مبلغ المئتي جنيه فوصل في أسبوع إلى ثلاثة آلاف ، توزع كلها على صور وميداليتين وتمثال صغير

ولا ريب أن في التشبث باقتناء هذا النوع من الصور الفرنسية وإهمال الفنانين المصريين تحد لكفاءة الأمة في شخص هؤلاء الفنانين . وتحكم في نفسية الشعب أن يتأثر بهذا النوع الهزيل . وفيه فوق ذلك تثبيط للمواهب وقتل للروح الفنية في الصميم .

على أن ما حدث هذا العام قد حدث مثله في كل عام ، وما يزال أثر المعرض الأخير (١٩٣٠) حيا في الأذهان ، إذ وزع من المبلغ المخصص لهذا المعرض وقدره (٢٠٥ جنيهات) على الأجانب (٢٠٢ جنيه) ولمصري واحد (٣ جنيهات) متجاهلين كتلة الفنانين الممتازين المصريين ومتغافلين عن أقدارهم التي شهد بها أهل الغرب

وادهى من ذلك — المعاملة — فالجفاء تام بين الجمعية (جمعية محبى الفنون الجميلة وكافة الفنانين المصريين . وهى لم تفكر يوما ان تستعين برأيهم فيما يحقق الغرض الذى اعلنته وتأسست عليه وعجزت وحدها عن تحقيقه .

يسوؤنا ان يكون لهذه الجمعية اغراض بعيدة كل البعد عن الغرض (السامى من تشجيع الفنون الجميلة المصرية — نعم يسوؤنا ان يكون غرضها الحقيقى هو التظاهر أمام أوربا ابتغاء حيازة النياشين وما اليها . والتظاهر أمام المقامات العليا هنا قصد الاستئثار منها بآيات الحمد — والتظاهر للشعب المسكين قصد التعالى عليه والادعاء . . . يسوؤنا ان تكون هذه اغراض الجمعية وان تنفق من أجلها اموال المصريين لفنانين غير مصريين مقابل ان تقتل المواهب المصرية بل تقتل الروح الفنية التى لم تدخل لها يوما فى حساب .

والغريب انها حين تدعى ان الفنانين المصريين مبتدئون لا يستحقون التشجيع لاتفطن الى انها مؤسسة فى الاصل لتشجيع الفنون وانها بادعائها هذا تقرر ان الامة فى غير حاجة اذن لهذه الادارة الخاصة بوزارة المعارف للفنون الجميلة — ولا لغيرها من الجمعيات .

ان الاعتراف بوجود الفنانين المصريين امر واجب كاعتراف الفنانين بفضل صاحب السمو الامير يوسف كمال — وليكن هؤلاء الفنانين مبتدئين على حد تعبير ذوى الاغراض ، فليس هذا بمانع من ان تظللهم الحكومة برعايتها كما تظلل مدارسها الابتدائية بالرعاية والتعميم .

ان خطر التثبيط والاهمال الذى يوجه الى الفنانين انما يتجاوزهم الى بث اليأس فى الشباب الطموح الذى يتطلع الى هؤلاء الفنانين قبل أن يحتذو حذوهم فى اعمال الفنون وهذا هو عين الخطر الذى يهدد الحركة .

أما وقد نفد صبرنا على هذه الجمعية فاننا نوجه إلى ادارة الفنون الجميلة بالوزارة ان تتولى هى إقامة معرض الحكومة السنوى حيث تنفق هى عليه . . . فالعلاج الوحيد ان تعفى هذه الجمعية من إدارة شئون لم تخلق لها ولم تحد عدتها للتوفيق — وليس هذا يمنع من ان يكون لها — اذا شاءت — معرضا خاصاً تمثل فيه اى صبغة تريدو اى لون تشاء .

فاذا سمح لنا العاملون على انقاذ الحركة الفنية ان نُدلى بآرائنا فى نشر روح الفن الجميل بصفتنا فنانين فاننا نتقدم اليهم بهذه المقترحات .

(١) ان أمر الثقافة الفنية يجب ان يتولاه الفنانون المصريون العائدون من

البعثات ، لانهم أقدر على تفهم النفسيات المصرية وما تتطلبه من توجيه خاص فضلا عن أنهم أعرف من الاجانب بلغة البلاد التى هى واسطة التفاهم بينهم وبين الطلاب على أن تعطى لهؤلاء الفنانين حرية البحث مع الوقت الذى يمكنهم من العمل على الانتاج الشخصى بصفتهم فنانين — والا كان احتجازهم خلف وظائف التدريس مدعاة لصدهم عن تحقيق الدعامة الاولى لنشر روح الفن . ألا وهى الانتاج الشخصى والابتكار .

(٢) ان ادارة المعارض والمتاحف ودور الآثار الفنية وما يتبع هذه الادارة من تنسيق ودعاية والقاء محاضرات يجب أن يوكل أمرها الى الفنانين المصريين الذين يبعثون للخارج لدراسة هذه الشئون . ويختارون من رجال الفن الحاصلين على شهادة البكالوريا المصرية الذين يدرسون تاريخ الفنون بقصد القاء المحاضرات وعلى شهادة الكفاءة على الاقل للآخرين .

(٣) يجب تغذية متحف الفن الحديث بأعمال الفنانين المصريين على أن يخصص به قسم لاعمال الاجانب اما القطع التى تزيد على حاجة المتحف المذكور فتوزع على المدارس المصرية . ليستطيع النشء تذوق الجمال فيها والتماس الثقافة الفنية البعيدة عن متناولهم خارج المدرسة .

(٤) يؤسس متحف آخر من صور عريقة أصلية ونسخ (copies) لاشهر أعمال المصورين فى العالم وهى التى لا يمكن اقتناؤها بغير هذه الواسطة . على أن يقوم بهذا النسخ مصورون اخصائيون — ولهذا المتحف مزية كبرى هى أن يكون موضوع موازنة ودرس لتطور الفن فى مختلف القرون .

(٥) تقام صالة مستديمة (gallery) للبيع تكون تحت اشراف الحكومة .

(٦) تعين مكافآت للمدرسين الذين يشرفون على الجمعيات الفنية فى المدارس الى جانب الاعانات المخصصة لهذه الجمعيات الآن ولا تفى بهذه المكافآت — وبديهى جدا ان فى تشجيع هذه الجمعيات على هذا النحو بثا لروح الفن والتقدير الفنى .

(٧) المبلغ المخصص للتشجيع يقتنى بخمسه قطع مصرية ويصرف مثله على رحلات لفنانى مصر الممتازين فى الوجه القبلى مثلا أو مراكش أو أوربا على ان تسمى هذه النفقات جوائز ارتحال فى يطلق عليها اسم الجهة كجائزة أوربا مثلا .
أما الخمس الباقى فيقتنى به (على سبيل المجاملة) من الفنانين الاجانب الممتازين قدر من التحف القيمة تعينه لجنة الشراء المؤلفة من بعض فنانى مصر ومندوب الوزارة

(٨) لجنة التحكيم بالمعرض يجب ان تكون مصرية ويمثل الفنانين الاجانب العارضين أعضاء لايزيدون عن ثلث الاعضاء المصريين .

(٩) يعطى لكل عارض ممتاز سبق انْ عرض ثلاث دفعات متوالية الحق فى ان يقدم علاوة على القطع التى تفحصها لجنة التحكيم مالا يزيد عن اربع قطع أخرى تعرض خارج دائرة التحكيم .

(١٠) تخصص حجرة لعرض قطع فى موضوع واحد كالصحراء أو النيل أو الحيوانات أو غيرها .

(١١) تعين بمعرفة لجنة التحكيم لجنة خاصة من الفنانين لتعليق الصور وتوزيعها على صالات المعرض

امضـــاءات



حرية الفكر

وأثرها في تكوين الحضارة الانسانية

على أساس الدين (١)

يخيل الى كثير من الباحثين أن حرية الفكر قالب جديد صب فيه الفكر بعد أن تخلص من قيود اللاهوت التي ظلت مؤثرة في كل ماحاول الفكر أن يبرز من آثار في العصور الوسطى وحدود العصر الحديث ، ويخيل اليهم أيضاً أن أحرار الفكر لم يوجدوا في عصر من العصور ، اللهم إلا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وهذه العقود الثلاثة التي فرطت من القرن العشرين . على أن غالب مايكون الحق مع الذين يذهبون عكس هذا المذهب ويزعمون فكرة أن حرية الفكر وجدت في كل الازمان وأنها قالب صب فيه الفكر مرات عديدة خلال التاريخ البشري .

وليست حرية الفكر قاصرة على المستكشفات الفكرات الجديدة في العلم أو الفلسفة أو الادب بل هي طابع الاديان في كل العصور والنكأة التي استند اليها كل المصلحين في كل بقاع الارض وخلال كل دور من دورات الحضارة . غير أنه بين حرية الفكر في الازمان القديمة والحديثة فارق واحد . هو أن هذه الحرية في العصور الاولى تتمتع بها فرد واحد تبعته الجماهير . أما في العصر الحديث فاصبحت الحرية الفردية طابع الاكثرية من المتعلمين . فانقلبت الصورة مع ثبات في الجوهر . فالشخصية الفردية في الحضارات القديمة قد تبدلت في الحضارات الجديدة بلفيف من الاحرار يرقمون علم التقدم أمام الجماهير تتبعهم اتباعاً أعمى . بعد أن كانت تتبع فرداً واحداً تباعاً أشد عماية في العصور الاولى

خذ مثلاً على ذلك الحوادث الكبرى التي يرويها التاريخ في نشأة الحضارة . فاني اعتقد أن خروج خليل الله ابراهيم من أور الكلدان حادث من أكبر الحوادث التي وقعت في تاريخ الانسانية . على أن خروجه من تلك البلاد ومهاجرته مع أهله غرباً

(١) مقال لمحرر العصور نشر بالعدد الممتاز من مجلة الحديث التي تصدر في حلب وهي من المجلات الممتازة بنزعتها الى التجديد ومحررها الاستاذ سامي الكيالي

الى أرض كنعان أن كان حادثاً بسيطاً فى حد ذاته فانك اذا بحثت فى سببه الحقيقى رأيت كيف يدل التاريخ على أهمية الحوادث البسيطة . وليس لخروج ابراهيم عندى من معنى إلا الصراع بين فكرة التوحيد وفكرة التكثير . فانك اذا قرأت تاريخ خليل الله منذ نزوحه من « أور » الى موته لاتجد فى ذلك أثراً من فكرة « بعل » ولا « عشتار » ولا أرض « حاربس » البابلية . بل تجد فكرة فى التوحيد ثبتت أصولها فى صميم الفكر الانسانى منذ ذلك الحين الى الآن من غير أن ينتابها تغير أو يعتريها انشعاب . اللهم إلا فى الصور العديدة التى أخرجها أهل الكلام فى اليهودية والنصرانية والاسلام

والسبب فى ذلك واضح . فان الاديان ليست مبتكرات صرفة تخرج من عقول الذين يأتون بها فتكون كالصور السحرية التى يقال بانها تظهر فجأة ولا يكون لها أصل ترجع اليه فى عالم الوجود الخارجى . ليست الاديان من هذا فى شىء . أنها دعوة قدسية تؤيد مبادىء تكون قد وجدت بالفعل وتشبع بها جو الفكر الانسانى . لهذا تختلف فى الصورة وتظل ثابتة فى الجوهر

٭٭٭

نعود الى هبوط الاسباط مصر وخروج يوسف الصديق من بينهم زعيماً سياسياً كبيراً وقائداً اجتماعيا انصرف الى الدنيا تحت لباس النبوات التى أخضع بها ملك الهكسوس الذى ظهر هو فى زمانه ، واستطاع بذلك أن يطيل حرب الاستقلال المصرية فى ذلك الحين وكانت قد قامت سجالا بين ملوك الهكسوس الذين بسطوا سلطانهم على شمال مصر من عنق الدلتا الى البحر الابيض المتوسط وبين أمراء مصر فى صعيدها وكانوا تابعين لعزائمهم بالاثارة والحزبية أكثر من ثمانين عاما طوالا . بل استطاع بذلك أن يخدم عشيرته من أبناء ابراهيم بمنحهم أرض « جاسان » الخصبة فى مصر مابين بلدة « بلبيس » الحالية ومدينة « الاسماعيلية » الحديثة حتى تكاثروا فيها وامتد سلطانهم واعتز جانبهم . وهو فى كل هذا خارج على تعاليم ابراهيم جدهم الاكبر الذى أنزلهم الارض التى وعدوا بها أرض كنعان وسدوم . وهو فى كل هذا قد تحرر من تقاليد عشيرته التى كانت تنطوى على الانصراف الى الله دون غيره من زخارف هذه الدنيا فلك وحكم وتحكم وأوصى بوصايا كلها لخير أهل الدنيا دون غيرهم من أهل الآخرة وهو أن استخفى فى كل ذلك وراء وصايا ابراهيم إلا أن كل أعماله كانت على عكس

الروح التي أراد ابراهيم أن يبثها في عشيرته ، وعلى الضد من الخطة التي سار عليها في حياته . بل لماذا نضعب الى ابراهيم ؟ فان يعقوب نفسه (اسرائيل) كان من أكبر المحافظين على تقاليد ابراهيم التي كسرها يوسف وبددها في خلال حياته تبديداً . فانه أخرج قبيلة العبرانيين من جماعة جل همها الانصراف الى الله وتوحيده ، الى جماعة عالمية مستعمرة من طريق الاحتفاظ ، بالسلام الاجتماعي ، بعد ان سنحت له فرصة الزعامة في أرض الفراعنة . ولا جرم أن في هذا من حرية الفكر - ومعناها التحرر من التقاليد الموضوعة - أثراً كبيراً وأنه كان في كل أدواره متمشيا مع الحاجات الاولية التي تشعر الجماعات بضرورتها لها دون مجابهة الافكار الخيالية التي انطوت على كثير من الدعاوى التي قامت عليها حركة العبرانيين (١)

وكذلك تجد الحال اذا انتقلت الى موسى ، فانه أخرج العبرانيين من شعب مستعمر أساس استعماره السلام الى شعب فاتح بقوة الساعد والسلاح . فان خروجه من أرض مصر لم يكن إلا ثورة قادها موسى خير قيادة ضد الملك الفرعوني بعد أن طرد الهكسوس من مصر ، وبعد أن مات يوسف الصديق - لا ندري بقدار كم من السنين - ولم يخلفه سياسي آخر يستطيع أن يحتفظ بالبناء الذي شيده يوسف لملوك الهكسوس الذين لا يبعد أن يكون لهم بالعبرانيين صلة السلالة ، وان كانت الحقيقة أن بين الهكسوس والعبرانيين صلة الموطن . فهم على الاقل أسيويون من غرب آسيا

كذلك اعتقد أن سني التيه في سيناء لم تكن إلا حيلة لجأ اليها موسى ليدرب الشعب العبراني على أن يكون شعبا حربياً يتحمل المشاق والمتاعب . بل أراد بذلك ان يخرج من أولاد العبرانيين سلالة صحراوية جديدة فعكف على سنن أهل البداوة ليفوز منهم بجيل حربي جديد . ولا يعوزنا الدليل على ذلك فان تاريخ موسى كما يرويه ربانيو « التلمود » مفعم بالادلة التي تؤيد مذهبنا هذا .

فغير خاف مثلا أن موسى بعد أن قتل المصري الذي كان يناوىء العبراني ، هرب من أرض مصر مجتازاً شبه جزيرة سيناء ، حيث قطعها من الغرب الى الشرق ، ثم هبط أرض مدين ولبث بها سنين عديدة ، تزوج في أثنائها من بنت « شعيب » وظل طوال هذه السنين يرعى الاغنام ويتنقل بها من مكان الى مكان في تلك البراري

---

(١) راجع مقالنا « مطالعات في سفر التكوين » الذي نشر في العصور

المتسعة المترامية الأطراف . هذه حقيقة أولى لا يجب أن تغيب عن أذهاننا .

ثم يجب أن نتذكر بجانب هذا أن شعب العبرانيين ، منذ هبوط الاسباط أرض مصر ، قد عاش فى كنف يوسف و فى أرض «جاعان» الخصيبة عيشة كلها لذة وترف وسعادة وانصراف عن العادات العمرانية الأولى التى عكف عليها أجدادهم . ثم لنضف الى ذلك أنهم أقاموا فى مصر أربعة أجيال على الاقل ثلاثة فى حياة يوسف ، وجيل بعد موته حتى ظهور موسى . هذا على أعدل تقدير . ولا جرم أن أربعة أجيال يعيشها شعب فى دعة وحرية وأرض خصيبة تؤتيه أكلها من غير نصب ، وتعطيه مرعى لمواشيه من غير تعب ، كافية لأن تقتل فى نفس شعب جوال كالعبرانيين ، فضيلة القدرة على الجهاد منذ أول أيام تاريخه ، وكل نزعة الى حب الحرب والجلاد . إذن فقد دخل العبرانيون أرض مصر قبيلة صحراوية جوالة فيها الكثير من صفات أهل البداوة ، وخرجوا منها شعباً ناعماً هادئاً فيه كل صفات أهل الاودية الزراعية . وهذه حقيقة ثانية لا يجب أيضاً أن تغيب عن أذهاننا .

ماذا نستنتج من هاتين الحقيقتين ؟ نستنتج منهما أن موسى كان عليما بجغرافية سيناء وأرض مدين معرفة صحيحة ، وأن العبرانيين قل من كان يعرف منهم شيئاً عن جغرافية هذه البقاع ، ان لم يكونوا جميعا على جهل بها . لهذا استطاع موسى أن يقيمهم فى جوف التيه سنين عديدة ، حتى يفنى الجيل الناعم الوادع الذى خرج به من أرض مصر ، والذى أثرت فيه طبيعة الوادى الزراعى اخلاقيا واستعماريا ، ويخرج من جبله جيلا فيه كل صفات أهل البداوة وشجاعة سكان الاراضى الجبلية . يدلك على هذا الثورات الكثيرة التى شنها العبرانيون ضد موسى وطلبهم منه أن يعود بهم الى مصر ليعيشوا فيها عبيدا لفرعون على أن يكونوا شعب الله المختار ، وعلى أن يتلقوا توراة الله من كليم الله . بل إنهم رجموه مراراً عديدة ولم يستنكفوا أن يظلوا على رجمه عاكفين ، حتى بعد أن يهبط آله اسرائيل فى غمامة ويظلل موسى منعاً لاذاهم عنه ، فلا يتورعون ، عن أن يرجموا موسى ومن فوقه الغمامة والله فيها !!! كل هذا حبا فى عبودية فرعون وزهداً فى حرية موسى

كل هذا ولا يرجع موسى عن أن يتركهم فى التيه يموت منهم العاجزون ويبقى الصالحون . فكرة انتخابية طبيعية طبقها موسى على شعب اسرائيل جهد ما يستطيع مؤمن بنتائجها فى إخراج أجيال الحرب والجلاد . وعلى نفس الطريقة جرى أهل اسبارطة فى عصور المدنية اليونانية .

من ورائه أى ستار يختفى موسى بمقاصده ؟ يخفيها وراء ستار التوراة . إن الله يريد أن يعلم شعبه المختار أسرار التوراة . وأين ؟ فى التيه ! ولا خروج لهم من هذا التيه الموسوى إلا بأن يتعلموا التوراة ويستوعبوها . ومن ذا الذى يحكم بأنهم استوعبوها ؟ موسى وحده . وكم من السنين تكفى لاستيعابهم التوراة ؟ أربعون سنة فقط ! وهى حقبة من الزمن كافية لأن يغربل فيها شعب اسرائيل وتنسفه مناسف الزمان القاسية فلا يبقى منه إلا الشعب الجبلى المتولد فى برية سيناء وحده . الشعب البدوى الصابر المصابر الذى يتحمل مكاره الجوع والعطش والذى يشعر بأنه جدير بأن يدافع عن نفسه بيده ، ويذود عن حياضه بسلاحه

ولا خفاء فى أن تاريخ موسى يدل على أنه كان جباراً قوى الاصلاب . وأى زعيم يصبر على تخنث شعب اسرائيل وتأنثه إلا موسى؟ ومن ذا الذى يصبر على ميوعة تلك الفطرة التى يصفها سفر الخروج أحسن وصف إلا موسى؟

ولقد نفذ موسى سياسته أحسن تنفيذ ، وأخرجها من حيز الفكر الى حيز الوجود أحسن إخراج . فأخذ شعب اسرائيل من مصر عبداناً ، وتركهم بعد فتحهم أرض الميعاد شعبا حربيا قويا ينتظر امبراطورية « داود » ليتسلط بها على الشرق حقبة من الزمان .

كل هذا يختفى وراء الايمان واليقين بصحة الرسالة التى اعتقد موسى أنه واجب عليه فى الحياة أن يؤديها لأهل جيله ، وللأجيال الآتية من بعده . وإن فى جماع هذا لأثرا من حرية الفكر ، احتمل فى سبيله موسى من المكاره ما لم يحتمل حر من أحرار الفكر جزء على ألف منه خلال كل الأجيال التى وصل الينا تاريخها .

على ان فى هذه الصورة لاقتضابا لا يحتمل المقام أوسع منه . ولو رجعت الى أسفار التوراة ، أو التلمود إذن لرأيت كيف أهين موسى وكيف استهزىء به وكيف نبذ ورجم بالطوب والحجارة ، وكيف تدلل عليه شعب اسرائيل تدلل النساء والمخنثين . ولكنك ترى بجانب ذلك كيف صبر موسى وكيف صابر ، وكيف انتصر على أهله ، فأخرجهم من ظلمات الجهل والعبودية ، الى فىء الحرية والعلم . ترى كيف أشربهم روح التوراة بوصاياها الجديدة ، وكيف هيأ منهم شعبا قاهرا ، حتى أنك لو نظرت فى تاريخ الجلاد بين موسى وبين شعبه ، لتساءلت كيف يختار الله هذا الشعب ليكون شعبه ، وكيف يمكن أن يخرج من هذا الخليط المؤنث شعبا لا يبقى فى الوجود من شىء إلا هو والله ، كما ينص التلمود ؟

غير أنه لم يكن لموسى من بد أن يخفي مقاصده وراء ثوب القداسة ، وان يستدر التوراة من السماء ، وان يكلم الله. فشعب اسرائيل ذو ميول دينية من ناحية ، وكثرة مطاليبه وزخاوته وتأنثه من جهة أخرى ، لم يكن لها من علاج الا ان يكلم الله موسى ، وأن يكلم موسى الله ، ليرضي شعب اسرائيل نزعته الدينية ، ويشعر كما يشعر النساء بأنه في كنف العزيز الحميد ، يستظل بحمايته في تيه سيناء ، فيكف عن إيذاء موسى

* * *

على هذا تجد الحال إذا أنت انتقلت من اليهودية الى النصرانية . فان روح اليهودية قد صبت على ما اعتقد في مزامير داود . روح تجلت في خوف الله خوفاً شديداً واسترضاء لجبروته العظيم . مغنى داود في مزاميره يتقرب من الله مصطبغاً بهذه الصبغة . فلما ظهر عيسى على أنه المسيح الذي ينتظره اليهود حتى اليوم تحت ظل البراق ، وبشر بنظرية جديدة صب فيها روح النصرانية ، وقال بأن ملكوت السماوات يفتحه الحب لا الخوف ، كان بهذا صاحب مذهب جديد يحتاج الى كثير من حرية الفكر والى كثير من الشجاعة على ابدائه .

وكذلك إذا أنت رجعت الى الاسلام ، رأيت فيه مذهبا وسطا بين مذهب اليهودية والنصرانية ، وان روحه استمدت من الخوف الشديد والحب الصامت الرهيب ، وعندي ان الآية المعروفة في سورة الرعد : « ان ربك لذو مغفرةٍ للناس على ظلمهم ، وان ربك لشديد العقاب » فيها تعبير صادق عن روح الاسلام ، فهو مذهب منتخب من تقاليد العبرانيين منذ أبعد أزمانهم اخذ أبين صورتين فيها صورة المزامير وصورة الانجيل ، وأخرج دينا جديدا ، كان بحق دين الله ، الذي استطاع أن يخضع العالم المتمدين في ثمانين عاما قصاراً من عمر الدنيا .

ولا جرم أن في كل هذا قدراً كبيراً من حرية الفكر ، ان استخفت وراء مظاهر ما فوق العقل ، فان روح العصر كانت سببا في ذلك ، وان للفكر تقاليدُ ثابتة تحدث جواً خاصا ، لا يعيش في الفكرات والمذاهب إلا ما اندمج في ذلك الجو .

وان مجال البحث في هذا لواسع كبير ، نتمنى لو تتاح لنا الفرص مرة بعد أخرى لتناول جوانب منه ، تمشيا مع روح زماننا واستجابة لنداء الحرية الفكرية التي أصبحت طابع العصر الحديث على الاساليب العلمية التي اقتحمت جونا في هذا الزمان .

من عجائب الكيمياء الحديثة

بعض المركبات النتروجينية

المركبات النتروجينية كثيرة العدد كبيرة الاهمية لاتقل عدداً عن المركبات الكربونية، وهي من أهم المركبات الكيميائية المعروفة بمثابة المواد الاولية لصنع المفرقعات والعقاقير والاصباغ علاوة على كونها من مركبات الاجسام الحية. وبحالة كهذه تضيق عن ذكرها كلها واستعمالات كل منها في الصناعة ولذا اقتصرنا على بعض المركبات الاكثر شيوعاً واستعمالا

يتوقف مصير كثير من الامم على مركبين بسيطين من مركبات النتروجين هما حامض النتريك والامونيا وهذان المركبان يعتبران محوراً لصناعة اليوم لان منهما تصنع المفرقعات والاصباغ وغيرهما ولو جرد شعب منهما لاختفت قواه الحربية والصناعية والزراعية في التناقص. فكما تتعطل معامل المفرقعات والاسلحة وتتوقف مصانع الاسمدة الكيميائية تقل كميات الاغذية النتروجينية حتى تصبح لاتفي بحاجة السكان. ولاهمية هذين المركبين شرعنا في شرحهما قبل سائر المركبات وبدأنا بحامض النتريك لعظم مركزه التجاري الصناعي

عرف حامض النتريك منذ القرن الثامن وأول من أوجد طريقة لتحضيره بكثرة هو رايموند لللي (Rymond Lully) سنة ١٢٢٥ وفي سنة ١٧٨٥ فحصه كافندش (Cavendish) فحصاً دقيقاً وعرف انه يتركب من الهيدروجين والنتروجين والاوكسجين (H. No. 3) ويوجد بكميات قليلة في الجو. أما املاحه فاكثرها شيوعاً نترات الصودا (Na. No. 3) ونترات البوتاس (K. No. 3) وقد تكونت هذه الاملاح من تأكسد المواد النتروجينية العضوية الممتزجة بكربونات او هيدروكسيدات معدنية.

وهذا الحامض سائل لا لون له، شديد الائتلاف للمواد العضوية خاصة لما يكون نقياً ومركزاً، ويتفاعل مع اغلب المعادن فيرسل غازات سامة هي اما اكسيد النتروس أو أكسيد النتريك، ويتحلل مركزه بتأثير ضوء الشمس الى حامض النتروس وأوكسجين. فاذا وضعت قنينة محكمة السد مملوءة من مركزه في غرفة

ساطعة الضوء فسرعان ماتنفجر لضغط الاوكسجين الناجم من تحلل الحامض . ولذا يحفظ في قناني زرقاء بمحلات مظلمة : ويتعذر ارسال كميات كبيرة منه لمسافات شاسعة للسبب ذاته، إلا اذا خففت بالماء ولكن كثيراً ماتحتاجه معامل الاصباغ مركزاً وخاليا تماما من الماء . ففي مثل هذه الحالات يمزج بكمية معادلة له من حامض الكبريتيك ويرسل المزيج بأوان حديدية . والحامض بهذه الكيفية لايؤثر على الحديد لأنه يتفاعل معه بادىء بدء فيحدث طبقة من ثاني اكسيد الحديد تكون حاجزاً يمنع ملامسة الحامض وجدران القنينة .

والحامض النتريك فعالية عظيمة تؤدي في كثير من الاحيان لحوادث مؤلمة . ومن اغرب الحوادث التي نجمت عن فعاليته الفاجعة التي حدثت قبل بضعة سنين في احدى مصانع الاصباغ في المانيا . وخلاصتها ان عاملا سقط في قدر عظيم بمزيج من حامض النتريك والكبريتيك بدرجة الغليان . ومن سوء حظه لم يشاهده أو يسمع صوت استغاثته أحد وبلحظة أو لحظتين اذيبت كل اجزاء جسمه ولم يبق له اي اثر . وعند مافقده اصحابه ولم يعثروا له على اثر ظنوه هرب خفية وسافر لأمريكا . اما مدير المعمل فهو الوحيد الذي اعتقد انه سقط بالحامض فاذاب عضلاته وعظامه وملابسه واحذيته وكل جزء منه . ومن الصدف ان هذا المذكور الحظ كان قد أمن على حياته ولما طالبت زوجته بما تستحق من مبلغ التأمين رفضت الشركة طلبها . لأنها كانت لاتوقن بموته . فالتجأت الزوجة الى مدير المصنع متوسلة إليه أن يمد لها يد المساعدة فيمكنها من نيل المبلغ المذكور . وبعد ان اعمل المدير فكره قرر تحليل جزء من المزيج وبعد التحليل وجده يحتوي على كمية من الفصفور واستدل بها على سقوط الرجل في المزيج . ذلك لأن عظام الانسان مكونة من احدى مركبات الفصفور — فصفات الكلس — فوجود هذا العنصر في الحامض معناه سقوط الرجل فيه وإلا فكيف وجد ؟ ولما عرضت النتيجة على شركة التأمين اذعنت للأمر ومنحت الأرملة المسكينة ماطالبت به . وليست هذه الحادثة إلا انموذجا بسيطاً للفواجع التي تأتي من فعالية النتريك . ولكن مهما كثر ضرره فنفعه للبشرية اكثر

ويعد حامض النتريك من أهم المركبات الكيمياوية ويصنع منه سنوياً مايربو على المائة الف طن . وكمية كهذه كافية لتشكيل بحيرة مساحتها السطحية ٢٠٠ باردة مربعة بعمق عشرة أقدام . وقد ازدادت صناعته أثناء الحرب العظمى زيادة عظيمة لاستهلاكه في صنع الاصباغ والمفرقعات . فصناعة الانيلين مثلا — التي تكسب أصحابها الملايين

من المتفجرات — تتوقف على هذا الحامض وتجهيز المفرقعات بأنواعها لاتتم بدونه فالنتروجليسرين Nitroglycerin الذى هو أساس الديناميت والجلاتين المفجر وسائر المفرقعات تصنع بمزج الجليسرين بحامض النتريك كما أنه يتعذر الحصول على حامض البكريك Picric Acid الذى هو أساس الليدايت Lyddite والميلينايت Mellinite وأمثالها وكذا ثالث نتروتولوئين Trinitroleine الذى هو أهم عنصر لصنع الخراطيش الحديثة إلا بتفاعل حامض النتريك والفينول — حامض الكربوليك — وحامض النتريك والتولوئين — وأكثر من ذلك لايمكن الحصول على نترات الالومنيوم مالم تتفاعل الآمونيا مع هذا الحامض لجميع هذه الاسباب قيل اذا جرد شعب من حامض النتريك فكأنه جرد من كل وسائل بقائه .

ويصنع حامض النتريك بعدة أساليب . فقد كان ولايزال يحضر من ملح شيلي — نترات الصودا — وكيفية صنعه أن يحمى الملح مع مركز حامض الكبريتيك بمراجل حديدية فيتفاعل الحامض والملح ويتجزأ حامض النتريك وسلفات الصوديوم Na So وبعد أن يتم التفاعل يقطر حامض النتريك ويجمع بأوان فخارية . ولكن خوف المانيا من نفاد ملح شيلي أولا ومن منعها منه عند الحرب ثانياً جعلاها تبتكر طريقة تحضر بها النترات وحامضها مباشرة من النتروجين الموجود فى الجو .

فجو الكرة الارضية يحتوى اربعة آلاف بليون طن من هذا الغاز اى ان لكل ذراع مربع من سطح الارض سبعة اطنان منه . ولا يستفاد من هذه الملايين إلا اذا مزج بمادة أخرى فلمزجه طرائق أخرى مختلفة اهمها احراقه بإمراره خلال قوس كهربائى ويسهل ذلك فى البلدان الغنية بالقوة الكهربائية حيث تكثر هناك الشلالات العظيمة كبلاد السويد وامريكا اما فى المانيا حيث تقل القوة الكهربائية لقلة الموارد الطبيعية فلا يمكن الاستفادة من هذه الطريقة ، ولذا سعى كيماويوها لاستنباط طرق لا تكلفهم كثير عناء : فادت جهود الكيماوى الكبير اوستوالد Ostwald الى تحضيره من الامونيا - غاز النشادر - المحضرة من الجو ، وخلاصة طريقته أن يمزج غاز الآمونيا بكمية من الاكسوجين ويمرر من أنابيب علوءة بقطع صغيرة من البلاتين المحمى ، فيتحدان بتأثير البلاتين دون أن يؤثرا فيه . وعندما يتم ذلك تتأكسد الآمونيا ويتكون حامض النتريك . ويعزى ثبات ألمانيا فى الحرب العظمى الى هذا الاكتشاف ، ولولاه لانتهت الحرب بمضى سنة أو جزء من سنة

فقد كانت ألمانيا لا تحارب الحلفاء بجنودها ، وانما بمفرقعاتها ومركباتها الكيمائيا المحضرة من حامض النتريك

***

وبعد أن اتضحت لنا أهمية الآمونيا فى تحضير حامض النتريك فلابد من أن نأتى على خواصها وأساليب تحضيرها .

عرفت الآمونيا منذ قرون عديدة . فقد أشار اليها الكيماوى رايموند للى فى رسالته الخطية منذ القرن الثالث عشر واستعملها بتجاريبه باسل فالنتاين Basil Valentine فى القرن الخامس عشر . واستحصل عليها برستلى Priestly سنة ١٧٧٤ وحللها شيل Scheel سنة ١٧٧٧ فعرف انها تحتوى على النتروجين . وهو غاز أخف من الهواء قابل للذوبان فى الماء ولذا تجمع عند تحضيرها بازاحة الهواء أو على سطح الزئبق ؛ ولها رائحة قوية نفاذة تثيلها يعمل الدموع تهمى عند الاستنشاق وكثيرها خانق مميت . أما درجة ذوبانها فى الماء فكبيرة جداً بحيث يذيب القدم المكعب من الماء ألف قدم مكعب منها بدرجة الصفر . وترتفع درجة حرارة الماء عند ذوبانها ويتضاعف حجمه للتفاعل الكيماوى الحادث بين الماء والغاز . ولا تحترق الآمونيا بالهواء الا بدرجة حرارية عالية . وتتحد مع الحوامض فتعادلها وتنتج أملاحا تعرف بأملاح الآمونيوم . والهيدروكسيد الآمونيوم - محلولها بالماء - عين هذه الخواص ؛ فهو يعادل الحوامض ويؤثر تأثيراً قلويا فى صبغة عباد الشمس الزرقاء أى يبدلها الى صبغة حمراء كما يفعل الغاز نفسه .

والضغط والبرودة يبدلانها الى سائل لا لون له يغلى بدرجة حرارة — ٥ر٣٨ مئوية ويتجمد بدرجة — ٧٧٠ مئوية ويصبح كتلة من البلورات الشفافة البيضاء عند تجمده . ومن غريب الصدف أن الآمونيا السائلة تشبه بخواصها خواص المياه فهى تبتلع كمية كبيرة من الحرارة عندما تتبخر ، كما أن المواد القابلة للذوبان فى الماء قابلة للذوبان فيها أيضا ولابتلاعها للحرارة استعملت لاحداث البرودة القصوى فى المختبرات وفى صنع الجليد .

وتحضر الآمونيا باحماء كلوريد الآمونيوم مع هيدركسيد الكلس — الجير المطفى — فتبعث الآمونيا تاركة خلفها كلوريد الكلس مذابا فى الماء . وتحضر كميات كبيرة من هذا الغاز سنوياً بهذه الطريقة، غير أنه يستعاض عن كلوريد الآمنيوم النقى ، بالسوائل الباقية من تقطير الفحم الحجرى لاحتواء هذه على كميات وافرة من

أملاح الآمنيوم . فعند مايقطر الفحم تتطاير غازات تحتوي على النتروجين . وبامحاء هذه الغازات مع الجير المطفي تنبعث الآمونيا ، فاذا مررت بحامض الكبريتيك كونت كبريتات الآمونيوم الذي يعد من أثمن أملاح الآمنيوم والذي من أجله تحضر الآمونيا . وتهتم المصانع الانكليزية والالمانية بتحضير أكثر كمية ممكنة من كبريتات الآمونيوم . ولكن مهما تكن المقادير التي تحضر سنوياً فليست بكافية لسد حاجات الامم الزراعية . فلتزايد الطلب على هذه المادة تزايداً عظيماً ولقلة المواد المنبعثة من تقطير الفحم . سعى الكيماويون لايجاد طريقة أبسط من هذه وتعطي كمية أكثر . وأخيراً كان الفوز حليف كيماويين المانيين هما هابر ولوروسينول Haber & Le Rosignol فقد توصلا سنة ١٩١٣ الى تحضيره مباشرة من غازي الهيدروجين والنتروجين .

عرف الكيماويون منذ عدة سنين أن الآمونيا يمكن تحضيرها عند مزج ثلاثة حجوم من الهيدروجين بحجم من النتروجين وبامرار بضعة شرارات كهربائية خلال المزيج أو بتعريضه إلى الاشعة ماوراء البنفسجية ، ولا يزال العلماء يجهلون سر هذا التأثير ، ولكن لهذه الطريقة مصاعب كثيرة في زيادة تكاليفها لايمكن استعمالها لتحضير كميات كبيرة من الآمونيا . فلذا اهتم الكيماويان السالفا الذكر با كتشاف طريقة تخالف هذه أيضاً ويمكن أن تمد المصانع بكميات عظيمة جداً من الآمونيا . اكتشف هابر ورفيقه أن بعض المعادن كالاوسميوم والاورانيوم تؤثر في مزيج الهيدروجين والنتروجين تأثير الكهرباء فيهما دون أن تتأثر ، أي أن هذه المعادن تكون بمثابة عامل مساعد لاتحاد الغازين ، وقد استعملت هذه الطريقة في كثير من معامل المانيا فنجحت نجاحاً باهراً وأخذت تدر على أصحابها الملايين من الجنيهات . والشيء المهم أن المانيا لاتزال تحتكر هذه الصناعة وتأبى أن تبوح بأسرارها . ولها بعض الحق في ذلك . فالمنافسة الدولية تضطرها لهذا التكتم . ولكن لوعمت صناعة الآمونيا بهذه الطريقة لانتج رخص الاسمدة الكيماوية أولا وفتح كثير من المعامل لصنع المفرقعات والاصباغ والسلولويد والافلام الفوتوغرافية وغيرها ثانياً . وهذه بطبيعة الحال تكون سبباً لانتشار الصناعة فتكثر الاعمال وتقل البطالة .

ooo

وبعد كل ماسلفنا لايسعنا إلا أن نأتي على مركبات النتروجين مع الكاربون

لما لها من الاهمية الكيماوية . وأهم هذه المركبات مركبين هما حامض البروسيك والسيانوجين .

قبل مئات السنين والبشر يعرفون ان المادة التي نسميها اليوم بحامض الهيدروسيانيك أو حامض البروسيك Prussic Acid, Hydrocyanic Acid من اشد السموم فعالية . وكانت تستخرج قديما بتقطير منقوع أوراق الخوخ . وقد استعمل المصريون هذه المادة قبل اربعة الآف سنة لقتل من يخرج عن طاعة الكهنة ، وانتقل استعماله من المصريين الى الرومان ويظن ان السم الذي استعمله نيرون لقتل أخيه بريتانيكوس لم يكن غير هذه المادة أو احدى مركباتها .

و يتكون حامض البروسيك من النتروجين والهيدروجين والكاربون ، وهو حامض عديم اللون يتطاير بالحرارة العادية أما رائحته فكثيرة الشبه برائحة الخوخ و يمكن تحضيره بتقطير اي سيانيد مع مخفف حامض الكبريتيك ، والكيمياوي شيل Scheel أول من حضره بهذه الطريقة . فقد قطر فيروسيانيد البوتاس مع حامض الكبريتيك . و يكثر وجود هذا الحامض في ثمار بعض النباتات كاللوز ولا يوجد صرفا بل ممتزجا بالسكر ليكون المادة المعروفة بالاميجدلين . ومن غرائب الطبيعة إنها توجد هذا السم الزعاف في الثمار قبل نضوجها حفظاً لبقائها فاذا ما اينعت فقدتها ولاملاح حامض البروسيك اهمية كبيرة في عالم الكيمياء .

اما السيانوجين فمركب غازي مكون من الكاربون والنتروجين كبير الصلة بحامض البروسيك ، اكتشفه جي لوساك سنة ١٨١٥ وحضره باحماء سيانيد الزئبق . ومن خواصه انه غاز خانق ذو رائحة كرائحة ازهار الخوخ ، يحترق عند ملامسته جسما مشتعلا ، ولا يوجد طلقاً على وجه الكرة الأرضية ، غير انه يكثر على وجه الشمس في اذناب المذنبات .

هذه نبذ عن بعض المركبات النتروجينية التي تعد اساس تقدم علم الكيمياء الحديث واساس صناعته اليوم وسنتبعها ببحث مستفيض عن المفرقعات وتأثيرها في المدنية ؟

البصرة : حسن احمد السلمان

العصور — ترحب بكل بحث علمي من هذا القبيل على ان يكون في متناول غير المتخصص بالكيمياء فهمه والانتفاع به في الحاجات الحيوية

أكل السحت

ليس فى هذه الحياة من شيء هو أدنى الى الاسفاف وأبعد عن الفضيلة من تجارة التطفل . ولقد أدرك المبشرون بالايمان هذه الحقيقة ادراكا قويا لم يزحم فيه فيلسوف أو عالم من فلاسفة الارض وعلمائها حتى الآن . فالمرأة البغى تتاجر متطفلة على الشهوات . والســائل القادر على كسب رزقه يتاجر متطفلا على عاطفة الشفقة . وبائع السلع المزيفة يتاجر متطفلا على الاغراء . والمزينون للشباب بالاسراف فى الانفعال والشهوة يتاجرون متطفلين على الجهالة وعمى البصيرة وهلم جرا .

هذه مقدمة نقدم بها لكلمة سوف نسوقها فى تطفل الصحافة والصحفيين .

لام على صديق من الاصدقاء الذين أجل فيهم عزة النفس ونبالة القصد ، انى كتبت فى العصور فصلا أرد به على كاتب فى جريدة الاحتياد غازيت ، نال من المصريين ومقدرتهم الادبية والعقلية ، وأنكر علينا كل شيء حتى مقدرة صحفى من صحفينا على أن يرزق ما يسد رمقه من دماغ قلمه . ثم قضى بأن لا صحافة الا صحافة السوريين ، ولا أدب الا أدبهم ولا علم الا علمهم ، الى آخر ما هنا لك من مزاعم وأقوال .

والحقيقة ان مصر قد بليت بطائفة من الناس اتخذوا الصحافة مهنة فلم يتورعوا عن أن يجعلوها فى أول أمرها مغنما تجاريا . وليس لنا أن نعيب عليهم أن تكون تجارتهم الصحفية ناجحة ماليا الى حد ما . ولكن الذى نعيبه عليهم أن يضحوا بكل غرض شريف وبكل فضيلة فى سبيل المنزع التجارى . وهذا ما قصدنا اليه فى كلمتنا التى نشرناها فى عصور فبراير الماضى رداً على ذلك الكاتب الذى لا يجلى أن يوصف بأقل من أنه جاهل مغرض ، أعمته السياسة عن أن يرى الفرق بين مصر فى أواخر القرن التاسع عشر ، وبينها فى بداية القرن العشرين ، ولما يفرط منه ثلاثة عقود من الزمان .

ولقد دار كلامنا فى ذلك المقال على الصحافة السورية الصفراء ، ولقد آمن معى ذلك الصديق بعد مناقشة قصيرة انه لا يبرر الخطة التى تتبعها تلك الصحافة ، ولا حتى عن المنزع التجارى الصرف الذى تنزع اليه ، وعلى الأخص تحليلها لكل محرم ، وتبريرها لكل جريمة ، ما دامت تعود عليها بمال يسد جوفها العميق ، وما هو الا أكل السحت ، وأكل السحت مقيسا به أهدى سبيلا .

كذلك لا يفوتني أن أذكر هنا انى لا أتعرض بكلامى هذا الى علماء السوريين الذين أفادوا مصر والشرق جميعاً أمثال اليازجى وان كان مبشراً متعصباً فى تبشيره، والبستانى صاحب الدائرة، والشدياق الكاتب المعروف، والرافعى وارسلان، ثم المغفور له الدكتور صروف الذى ترك بيننا أنبل أثر وأكب طوال حياته على العلم ينشره ويغذيه بالمقتطف خمسين من الاعوام الطوال، وقد خلفه فيه من بعده وله الحمد، شاب من أسرته لا يقل عنه نبلا فى النفس وسمواً فى النزعة وشجاعة فى العمل وحرية فى الفكر.

لسنا نقصد هؤلاء الذين نمجدهم من أعماق قلوبنا، ونضع أيدينا فى أيديهم متعاونين على البر بهذا الوادى الذى ربانا وغـــذانا أولا وبالشرق العربى ثانياً، بل نقصد الى الأدعياء المتطفلين الذين انحطت مداركهم بقـدر ما أسفت منازعهم، وفسدت نياتهم بقدر ما جشعت نفوسهم، وقد نقلوا معهم الى الصحافة المصرية العربية صورة من الصحافة الامريكية القائمة على أخص الطرق الامريكية، وهى طرق فى سلب العقول والجيوب أشبه بالطرق التى كانت تتبعها العصابات السرية فى العصور الوسطى، أو جمعية الكوكلوكس كلان الامريكية التى تمثل روح التطفل الحديث والاجرام فى أمريكا، بقدر ما تمثله الصحافة السورية الصفراء فى مصر.

وقد عاب علينا كثير من الاجانب اننا لم نقم بجانب الصحافة السورية صحافة مصرية تثبت من الجانب التجارى. ذلك لانهم لا يجرؤون على أن يقولوا ان صحافة مصر البحتة لم تقو على الثبات بجانب صحافة مصر السورية من الجانب الادبى أو العلمى. على أن الذين يعيبون علينا هذا الامر يغفلون دائماً عن اننا أعجز من أن نجاريهم فى التغرير بشباب مصر وأكل السحت من وراء اللعب بأهوائه وايقاظ شهواته وبعث انفعالاته، ونحن انما نريد بما نكتب أن نغرس فيه روح الفضيلة وحرية الفكر والضمير. يغفلون عن اننا غير قادرين اشفاقاً ورحمة ببلادنا وبشبابها وشيبها أن نتهمهم فى عقليتهم وأن نطعنهم فى قوة تمييزهم، فننشر لهم أسخف السخف وننزل بهم الى أحط الدركات، ثم نقول كما يقول أصحاب الصحافة الصفراء، الجمهور لا يفهم، الجمهور جاهل، الجمهور زلط أصم أبكم، الجمهور منصرف الى السفاسف دون الغايات العليا، الجمهور مغفل، هذه الامة حمقاء، وهذا كله تلقاء الالوف المؤلفة من الاصفر الرنان التى يدفعها هذا الجمهور المسكين ثمناً لهذا السلب العلنى!!!

انى أهيب بكل صحفى مصرى خدم مع أصحاب الصحف السورية

الصفراء ، وأظن أن جلهم فيهم من الشجاعة ما يكفي للمصارحة ، أليس هذا هو ما يسمع فى هذه الأمة من أفواه أولئك المتاجرين على حساب هذه الأمة ، وعلى حساب سخائها وأفراطها فى حسن النية وتقبل ما يقدم اليها من الغذاء الفكرى المزوق الظاهر المسموم الباطن . لقد سمعت من كثيرين منهم أن أحد أصحاب هذه الصحافة الجهلاء الذين لا يفهمون من أمور هذه الدنيا أكثر ما تفهم آلة من آلات الطباعة التى اشتراها بعشرة آلاف من الجنيهات التى جمعها من جيب الجمهور المصرى المغفل الأحمق على حد قوله ، كثيراً ما ينصح الى محرريه أن ينزلوا الى مستوى الجمهور ، فيخفف من عباراته ، ثم يخفف من معانيه ، ثم يخفف من مواضيعه ، ثم يدرس اللغة وقواعدها ومفرداتها ، ثم يكتب بالعامية القحة ، كل هذا تحت تأثير فكرة النزول الى مستوى الجماهير ، حتى إذا وصل المحرر الى حد أن يكتب له — وعمك شنطح جالك بطلع تديلو إيه ، — قال له وصلت الى مستوى العقلية المصرية . أليس هذا أكبر البلاء ؟ أليس هذا أحط ما تبلغ إليه الصحافة ويتنزل إليه البغى ؟ أليس هذا أبعد حد تستباح به الأمم إذ تمتهن عياناً جهاراً فى عقليتها ومراميها ؟ ولكن لم الحق فالأمة تملأ جيوبهم وتشبع بطونهم الشنيعة بالهاوية الجهنمية ، فلا يسعهم إلا أن يشبعوها سباً ولعناً وتحقيراً . هـــذا هو الجزاء الحق . ولكنه مع الأسف ليس من حسن العمل

أما الحقيقة فعلى الضد مما يقولون . فالجمهور المصرى فهم راشد يعرف الغث من السمين . ولكنه مع الأسف الشديد كـكل جمهور تغره الكلمات الحلوة ، وترضيه البدائع الطنانة . وهذا هو قناع التطفل الذى تلبسه هذه الصحافة ، فهى صحافة مصرية المصريين شعارها الى الأمام على الدوام ، وما الجهـــل إلا جهلهم ، وما العماية إلا عمايتهم ، وما التسافل الى سفاسفهم ، وما التغفيل إلا تغفيلهم ، وما الحق إلا حقهم ، وما الدعارة الصحفية التى ينشرونها إلا دعارتهم ، وما البغى المشروع الذى يسرقون به أموال الأمة تلقاء صحف سوداء الباطن والظاهر إلا بغيهم . وما خرج فى جوف هذا الوادى من ريح نتنة إلا وكان فى أفواههم ، ولا سنت شرعة خبيثة إلا وكانوا أول واضعى دعائمها ومروجى شعائرها ، ولا نشرت صور الباغيات على أنهن سيدات مصونات ، ولا الراقصات العاريات على أنهن من زعيمات الفن العالمى ، ولا صيد الفتيان للفتيات فى اليم على بعض شواطىء أوروبا الاباحية على صورة يحمر لها وجه الأدب والذين يعرفون ما هو الأدب ، ولا أذيعت رذيلة الغش فى الامتحانات

لتعلمها أولادنا ، ولاحتى التنجيم ليصبح من معتقدات نشئنا ، ولا عرفت طريقـــة الاجرام والقتل وسفك الدماء علناً منشوراً ، ولا عرفت دروس عملية فى غلظة القلب وفناء كل الصفات البشرية ممثلة فى شخصية عشماوى الجلاد ، ولا عرفنا وجه أصحاب الدعارة فى بؤر الفساد والبغي، ولا سرد علينا شيء من مكائد المومسات ورفقائهن من الساقطين ، إلا وكانت هذه الصحافة المجلوة فى آخر ثوب أمريكى ، على مايقولون ، أول من نشرها وأول من غرس أصولها فى صحافتنا القومية . وهى بعد كل هذا صحافة مصرية للمصريين ، وشعارها الى الامام على الدوام - كلا - بل الى الهاوية التى تحفرها هذه الصحافة تحت أقدام أولادنا وفلذات أكبادنا . بل أمام مستقبلنا العـــالى ، ومركزنا فى الحضارة .

هل عرف المصريون شيئاً من هذا ينشر علناً ويلقى على الشباب باعتباره ادباً عصرياً ، وبالبئس هـــذا الأدب ، وبالبئس المؤدبون . إلا على يد هذه الصحافة السورية الصفراء ، التى جاءتهم فيها لفيف من دخلاء الصحفيين ودهمائهم ، من الذين أخذتهم عدوى التطفل الامريكية ؟ على أن للمصريين من متطفلى الصحفيين بعض العذر ، فقد رأوا السبيل ميسوراً والطريق ممهداً فسلكوه كما سلك آباؤنا طريق المعصية بعد أن شرع سيتها ملك من ملائكة السماء

ياعجبا ! ألهذا الحد من الغى يبلغ بهؤلاء الطمع والجشع ، ويساغ لهم أكل السحت على أكتاف أمة برمتها ؟ أذكر منذ سنتين انى قرأت فى جريدة « الاوبزرفر » الانجليزية مقالة بقلم محررها الفذ مستر « جارفن » الذى يعترف له صحافيو العالم بأنه من أعظم الصحفيين الذين ظهروا خلال كل الازمان وعلى اطلاق القول . جاء فيها أن الصحافة الانجليزية على جلال قدرها وعظمتها وأثرها ورقيها ونبلها ، بدأت تنحط وتتدهور ! ولماذا ؟ لأن شركة يعرف أصحابها بالمتاجرة على حساب التطفل الصحفى قد فاوضت فى شراء جريدة من الجرائد الكبرى ! ياعجبا مرة أخرى ! أمن المفاوضة فى شراء جريدة لشركة يعرف فى أصحابها هذه الصفة ، ينعى « جارفن » الصحافة الانجليزية ، ويقول فيها انها بدأت تنحط وتتدهور وأن جراثيم الاعتلال أخذت تدب فى هيكلها التقليدى ؟ وماذا يكون حكم مستر « جارفن » اذا تمت الصفقة لهذه الشركة ؟ ولكن الصفقة لم تتم ، ذلك لان نبل أصحاب الجريدة وسمو منازعهم قد حال دون ذلك ، ففضلوا الخسارة المادية ولو أفلسوا ، على أن يلقوا بجريدة انجليزية لها تقاليدها التاريخية فى يد شركة شأنها التطفل الصحفى على أجسام الناس . أما فى مصر فاعكس هذه الآية وأنت تقع على القاعدة . القاعدة التى دعمها وشيد من فوقها الصرح الاشمخ للتطفل الصحفى ، سوريون من أصحاب الجرائد الصفراء

والتجارة من بعد هذا كله حرة . نعم حرة والأدب مرة حرة . ولكننا مع هذا نقول ان ليست كل تجارة حرة تكون شريفة . وليست كل تجارة تكون مصرية للمصريين وليست كل تجارة تكون الى الامام على الدوام . وهل هنا لك تجارة يكون وجه الكسب فيها مضمون مائة فى المائة ، ووجه الخسارة معدوم بالمرة ، الا تجارة لاتتفق وضرورات الحياة ، كتجارة المخدرات والتعاطى فى تهريب السموم البيضاء . تجارة تشترى بضاعتها الشهوات ، وتستهلك موادها الانفعالات ونزعات النفس الشيطانية والعياذ بالله .

على اننا لا نبالغ ولا نغالى اذا قلنا بأن هذه الصحافة الصفراء يجب أن تصادر كما تصادر المهربات . فلعمرك أيها أشد اجراما ، سفاك يقتل شخصا انتقاما أو طمعا، أم صحفى يقتل الشباب كله ويستغويه ويحشيه الشهوة بعد أن يستتر وراء قناع الأدب ويوقظ فيه الانفعال بعد أن يستخفى وراء ستار الفضيلة ؟

والدليل الأكبر على هذا أن هذه الصحافة لا دعوة تدعو اليها ولا مبدأ تحترم من أجله ولا مذهب تنتمى اليه . فلأى شيء وجدت ومن أجل أى غرض تصدر!!! لغرض واحد . ملء الجيوب على حساب الآداب والفضائل . وبعد هذا هى صحافة مصرية للمصريين . وشعارها الى الامام على الدوام . فعلى المصريين عارها ، ولأصحابها ثمراتها المادية .

ولست أدرى أصيحة جادة تلك الصيحة التى ارتفعت هذه الأيام منادية بالدفاع عن التجديد أم هازلة ؟ أغلب ظنى انها هازلة . لانها لو كانت جادة حقيقة لكان القلم فى أمر هذه الصحافة والدعوة ضدها أحد مراميها . ولكن السم ينساب فى عقول النشء والخرافات تدس عليهم والشهوات توقظ فى نفوسهم تحت عنوان حرية التجارة ، وحرية القول والنشر .

أيكون هذا كله فى مصر ، ثم يحرم على مصرى أن يقول فيه كلمة حق أو ينفس عن صدره بشيء يكتبه ؟ فاذا فعل كان المفتر على الضيوف الرامى عن قوس الغرض فيما يقول ، الحقود الذى لا ذمة له ، الحسود الذى يود لو أن مال غيره ذهب اليه !

بهذا يقول أصحاب الصحافة الصفراء . الا فليقولوا ما يشاؤون . فصحافتهم صفراء ولو جرت فيها دماء شهداء الحرب العظمى كلهم . ونحن ناقدوها مروجون ضدها داعون الى مقاطعتها ناعتوها بما تستحق من النعوت عاملون على أن ندفع بعض سيئاتها بما نضحى فى سبيل مصر وفى سبيل العلم والأدب .

اسماعيل مظهر

العلاج بالوسائل الطبيعية

نقلا عن إحدى المجلات الطبيه

مهما تكن آراؤنا بخصوص الالام على وجه العموم ، وسواء اعتبرناها كنعمة وموهبة منحت لنا فى الخفاء أو كما يستصوبه الكثير و يقولون عنها أنها نقمة ، فاننا جميعا نوافق على أنها علامة ودليل على اضطراب فى الجسم ، وعلينا بعد البحث عن مقر الالم أن نبحث عن الكيفية التى بواسطتها يمكن تخفيفه أو استئصال شأفته

والطرق التى سنوضحها فى هذه المقالة لازالة الالم هى طبيعية صرفة فى جوهرها ولا يعقبها أى اضرار كالتى تعقب عادة استعمال الادوية والعقاقير الفعالة التى لاتؤدى فقط الى اماتة الالم بل غالباً تؤدى الى احداث شلل فى الاعصاب

ولما كان الالم ينتج فى الغالب من تراكم بعض المواد النافعة فى داخل الجسم وهى التى تهيج الاعصاب الحساسة كما هو الحال فى داء الملوك والنقرس ، فالاصوب ازالة سبب الالم اذا أريد تخليص البدن منه نهائياً

ففى مثل هذه الاحوال يجب المواظبة على تطبيق القواعد الطبيعية حتى اذا أردنا التخلص من الالم بصفة مؤقتة ، ولا يغيب عن الذهن أن الالم لم يكن فقط صعب الاحتمال بل إنه أيضا أكبر سارق للقوة الحية ومهلك لنشاط الاعصاب فكم من مريض سيء له الالم الارق وهو يصيح متألما عقلا وروحا (آه لو تمكنت فقط من النوم فكم يكون اغتباطى به اذ ذاك) وهذه رغبة طبيعية مألوفة ولكن ليس من الشفقة أن يقوم الطبيب المعالج باعطاء المريض عقاراً مميتاً بقصد تنويم المريض المتألم

فالطريق الطبيعي والذى لا يكون له تأثير مميت على المجموع العصبي مفضل على الطريقة التى لها تأثير قوى فعال ولكنها مضرة ضرراً بليغاً فى الوقت نفسه فقد تكون أحياناً فى الرأس آلام مبرحة ولكن ذلك لا يفهم منه حتما وجود أى خلل فى الرأس نفسه فربما كان ذلك ناتجا عن تأثير انعكاسى على الاعصاب مسبب عن بعض اضطراب فى جهة أخرى من الجسم

فاذا أمكن اسعاف المريض بالشقيقة وألم النقرس بطريقة بسيطة كالتى نصفها فان المريض يزداد ثقة وايماناً فى الطبيب المعالج ولا يخالفه فيما يقترحه عليه لاتمام خلاصه من السبب المباشر للالم المعين

وقد يباشر الطبيب علاج الكثيرين ولكن اذا لم يتمكن من اقناعهم بتغيير

طريقة معيشتهم دفعة واحدة، فعليه أن يكون « حكيا كالحية » وديعا كالحمامة، ويستعمل الطرق التي توافق ذوق المرضى والتي تؤثر عليهم حتى يثقوا بقوة شفاء الطبيعة. والطريقة التي نصفها هنا للتخلص من الالام معروفة بطريقة العلاج بالمناطق وقد نشأت هذه الطريقة في أمريكا كما نشأ غيرها من الاشياء الكثيرة الجميلة فيها وهي غير منتشرة الآن هنا. وأما في امريكا فهي متداولة جدا فالدكتور فيتزجرالد الذي وضع مصطلحات هذه الطريقة الجديدة وغيره من الاطباء الذين يستعملونها في العلاج قد تجمعت الالوف المؤلفة من المرضى الذين كتبوا لهم خطابات شكر على هذا المجهود العظيم وعلى تخلصهم من الآلام بسببها . ويوجد مايربو على خمسمائة طبيب من أطباء الاسنان ومن أطباء أمراض العظام يستعملون هذه الطرق الجديدة بنجاح تام لمرضاهم .

وليس هناك أي خطر من استعمال هذه الطريقة وليس لها نتائج رديئة وربما كانت سبباً في تحسين الصحة ، فضلا عن التخلص من الالام . والرجاء أن يميل كثير من العقلاء لدراسته واستعمال هذه الطريقة لانفسهم والذين يرجون مساعدتهم فهي عبارة عن البساطة المتناهية إذا قارناها بالطرق الاخرى ويمكن لكل انسان أن يتعلمها بنفسه ويستعملها وهي تشفي من أمراض كثيرة فضلا عن التخلص من الالام ، وتتلخص في أن يضغط الانسان على الجزء الذي يلي مركز الالم أو في نقطة مائلة على الاصبع أو الابهام أو الركبة أو الكوع أو المرفق البعيد عن مركز الالم ولكنه يكون واقعاً في نفس منطقته

فما الذي تعمله عندما يصطدم كوعك أو أي جزء آخر من جسمك بجسم آخر صلب ؟ أنك تعالج فوراً ذلك الجزء وبذلك تمنع وجود حالة زهروية في الدورة Venus Statis وهي الحالة التي تقف بها العروق أو الاعصاب المرضوضة كاليد في طريق الدورة الدموية وينجم عنها ما يسمونه بحالة (السواد والزرقة)

ولاجل توضيح هذه المسألة يجب فرضاً تقسيم الجسم إلى عشرة مناطق وتجرى هذه المناطق في جانبي الجسد في كل جانب خمسة وتبتدىء هذه المناطق من ابهام القدم إلى ابهام اليد مثلا المنطقة الأولى تمتد من ابهام الرجل إلى أعلا الجسم من الامام والخلف في الصدر والظهر والذراع لغاية ابهام اليد والعكس بالعكس . فيعالج الالم الموجود في أي جزء من المنطقة الاولى بالضغط على المفصل الاول لابهام الرجل واليد ويستمر الضغط بمعدل نصف دقيقة إلى أربعة أو عشرة دقائق حسب شعور المريض .

فمثلا إذا كان المريض يشكو من برد فى رأسه فيمارس بالضغط على الابهام أو الاصابع التى تنتهى بالمنطقة الحاصل لها الألم فيصل التأثير بذلك إلى المنافذ الانفية ويشفى بهذه الطريقة الصداع الناتج من حالةعصبية : أما إذا كان ناتجاً عن تسمم فى البدن الناتج عن تعفن باطنى فلا ينجح هذا العلاج ولكنه يخفف الشيء الكثير من الالم على كل حال . وهذا العلاج بسيط جداً ونرى من اللازم على كل فرد أن يعرفه خصوصاً الامهات اللاتى يتمكن بواسطته من معالجة أنفسهن ومعالجة أولادهن عما لايكلفهن شيئاً . اللهم الا إذا كان الالم ناتجاً عن مرض عيني أو التسمم الذاتى أو الامراض المزمنة الاخرى فلا يمكن بواسطته الحصول على نتائج حاسمة

ولاريك كيفية العمل بهذه الطريقة حادثة وقعت لطبيب مع سيدة أغمى عليها من شدة الالم فى رأسها فانه مارس تلك الطريقة على منطقة العنق من العمود الفقرى فعادت الى رشدها و تمكن الطبيب من ازالة الامها حتى عادت إلى عملها فى نفس اليوم ولم تشعر بعدها بألم وزال بالكلية حتى كأنه لم يكن .

ولا شك أن هذه الوسائط لو عرفت قدرها العقلاء لامكن شفاء الالوف من حالات الصداع بها وبدون الرجوع إلى تأثير المخدرات أو المنومات .

وأمثال هذه الكيفيات والطرق تستعمل فى علاج أنواع أخرى من الامراض كالجحوظ وأمراض العين والصمم وتصلب الاعصاب وغيرها

ولكن لانقل مما تقدم أن طريقة العلاج هذه تنجح فى جميع الامراض ولكن استعمال هذه الطريقة بالروية والعقل قد تكون من أنجح الطرق للخلاص من الالم ومن المتاعب الجسمانية

ابحاث زراعية علمية

عملية الانتشار

اذا وضعت فى الماء مادة قابلة للذوبان فانها تذوب فيه ، وبعد زمن تتوزع بالتساوى فى هذا الماء وهذا هو الذى يسمى عملية الانتشار أى جولان جزئيات المادة تدريجيا بين جزئيات الماء . أما عملية الانتشار الغشائى « الاسموزس » فهو انتشار متبادل يحصل بين بعض السوائل وبعضها بواسطة غشاء مخصوص حتى تكون على نسبة واحدة فى ظاهر الغشاء وباطنه . ومثال ذلك أنه اذا وضع محلول قوى من مادة فى اناء قاعه الاسفل غشاء ثم وضع هذا الاناء فى آخر فيه محلول ضعيف من هذه المادة أو ماء نقى بشرط أن يكون الغشاء منفذا لجزئيات المادة والماء معاً نرى بعد زمن أن المحلولين يصيرا ذا قوة واحدة لمرور الماء من المحلول الخفيف الى المحلول القوى من جهة ولمرور جزئيات الجزء الذائب الى المحلول الضعيف من جهة أخرى ومن حيث ان مرور جزئيات الماء يكون أعظم من مرور جزئيات المادة فيزداد حجم المحلول المركز أو بعبارة أخرى يمر الماء من الضعيف الى القوى . أما اذا كان الغشاء غير منفذ للمادة الذائبة ووضع فى الاناء الخارجى ماء نقى فمن المستحيل أن يصير المحلولان متساويى التركيب لأن الماء يستمر تواردة لجهة المحلول القوى فيتراكم هذا المحلول على جهة من الغشاء فيزيد الضغط عليها حتى يصير مساويا لقوة مرور الماء من الغشاء وحينئذ يقف مرور هذا الماء أو بعبارة أخرى تكون كمية الماء الداخلية مساوية لكمية الماء الخارجة من جهتى الغشاء . على أنه لا يوجد غشاء غير منفذ تنفيذا تاما للمواد الذائبة إلا أن بعضها قد يكون بطىء التنفيذ لها جدا . وهذه العملية من خواص الطبقة الحية « البروتوبلاسمية » لزغب الجذور فهى تنفذ الماء كثيراً من الأملاح الذائبة فى ماء الارض بسهولة إلا أن كثيرا من المواد الذائبة فى العصارة الخلوية يكاد لا ينفذ منها .

الانتشار الغشائى « الاسموزس » :

هو الاسم الذى أطلق على الظواهر المذكورة وله دخل عظيم من مرور جزئيات السوائل والاجسام الصلبة الذائبة داخل الاغشية ولابد لحصول العمليات المذكورة أن يكون السائلان أو المحلولان قابلين للاختلاط معاً وأن يكون الغشاء منفذا على

الأقل لواحد منهما وعليه فلتطبيق هذه الحالة على زغب الجذور فى الارض نقول :

محلول العصارة الخلوية يكون عادة أقوى من ماء الارض وحينئذ يكون دخول الماء فى الخلية أكثر من خروجه منها أى أن هناك مروراً من الداخل . ومن حيث ان المواد الذائبة فى ماء الارض قابلة الانتشار فهى تمر الى داخل الخلايا مع الماء . وبهذه الطريقة يحصل النبات على المواد المعدنية الضرورية لنموه فيمر الماء والمواد الذائبة الممتصة بهذه الكيفية داخل النبات متجهة الى المواضع النامية ويخرج الجزء الزائد من الماء الذى لم يدخل فى تكوين جسم النبات فى النهاية بواسطة التبخر الباقى ومن حيث ان النبات يفقد الماء دائماً بهذه الكيفية والمواد الذائبة فى العصارة الخلوية لا يمكنها الانتشار الى الارض فينتج من ذلك أن محلول العصارة الخلوية يكون دائما أقوى من الماء الارضى وعلى ذلك يستمر مرور الماء الى الداخل .

وكثير من الاملاح عند دخولها فى النبات تتحول الى مواد أخرى غير قابلة للانتشار الى الخارج ثانياً فيستمر دخول هذه الاملاح الى النبات ومع ذلك فلو بقيت المادة التى أخذها النبات بلا تغير لتراكمت فى العصارة الخلوية بعد زمن وينتج عن ذلك حصول انتشار الى الخارج يعادل فى النهاية الانتشار الى الداخل .

ومع ما ذكر من المواد الذائبة فى العصارة الخلوية لا تمر الى الخارج بواسطة الطبقة الحية فانه يحصل بعض الانتشار الى الخارج وحمض الكربونيك أشهر المواد التى تنتشر الى الخارج وهو يساعد كثيراً فى اذابة الجزيئات الارضية .

أما الاراضى الملحة فالماء الارضى يكون فيها محلولا قويا نوعا فيقل مروره الى داخل النبات وهذا المحلول يقوى تدريجيا بجفاف الارض فيمكن حصول انتشار الى الخارج فى زمن ما وهذا مضر جداً بحياة النبات ومن ذلك تظهر أهمية وجود ماء الرى بكمية كبيرة فى زراعة الاراضى الملحة .

والماء الذى يمتصه النبات لا يؤخذ فقط من الجزيئات المجاورة للجذور مباشرة بل يؤخذ أيضا من الجزيئات البعيدة . ولتوضيح ذلك ننظر الى ما يحصل فى مجموعة جزيئات من الارض يمس بعضها البعض الآخر . فاذا وصل الماء الى هذه الجزيئات يتوزع عليها داخل المسام وعلى سطوح هذه الجزيئات بالتساوى . ويحصل ذلك بتأثير التماسك السطحى وهو خاصية فى السوائل لا يمكن شرحها هنا شرحا كاملا . ولكن عليها يتوقف التأثير السطحى للسائل فاذا زال الماء من أى جزء من هذه المجموعة اختل التوازن وتوارد الماء من جميع الجزيئات الاخرى نحو الجزء المذكور . وعلى هذه الطريقة حينما تمتص الماء زغبة بجذر من جزء ملتصق بالطبقة الغروية بها يحدث تيار من الماء من كل جزء آخر مجاور له نحو هذا الجزء . وعليه فيمكن اعتبار كل جزء

من الارض كأنه متصل بالجزء الآخر في هذا الوسط من الماء . ومرور هذا الماء من جزء لجزء يرينا كيف يكون النبات قادراً على امتصاص الماء من الارض الجافة . وكيف يمكن أن يتغذى من الاجزاء التي لا تلامس جذوره أبدا بذوبان هذه الجزيئات تدريجيا في الماء الارضي وحينما تكون الارض غدقة يمر الماء بسهولة بين جزئيات الارض ولكن متى جفت كان المرور أصعب من حيث ان الطبقة الرقيقة من الماء تكون ألصق من الطبقة السميكة منه . فالنبات يمكنه أن يأخذ ماء كثيرا من الارض ولكن لا يمكنه أن يجففها تجفيفا تاما لأنه يأتي وقت تعجز فيه حركة الانتشار الغشائي « الأسموزس » عن التغلب على الجذب الواقع بين الماء والجزىء .

وفي الاراضي الخصبة لابد من وجود مسافات مملوءة بالهواء دائما حيث يذيبه الماء الارضي ويحمله الى النبات وليس في الاراضي المزروعة أرزاً هذه المسافات المشغولة بالهواء لاستمرار ريها ولكنه يعوض بالهواء الذائب في الماء الجاري المستعمل في ري هذا النبات وجراثيم الارض تعيش في الماء الارضي وفي المادة العضوية الرطبة . ولا شك في أنها تتحرك في المسافات الكبيرة التي بين جزيئات الأرض .

نرى الزارع من اشترى أرضا تعد فيها كمية من المواد الغذائية . والبذر تكون صالحة كثيراً أو قليلاً لنمو المحاصيل وكذا يكون فيها بعض الجراثيم لتحضير الغذاء النباتي ثم هو بعد ذلك يطلب وجود الماء ورسوب الغرين سنويا (في اراضي الحياض) ليعوض على الارض ما فقدته بنمو المحاصيل فيها . وهذا الغرين شرط ضروري في استمرار خصوبة الأرض . أما في أوربا فيقوم مقام الرسوب السنوي الاحجار التي تفتتها المؤثرات الطبيعية فتعطى الارض مواد جديدة معدنية .

عمارة الارض (فلاحتها)

قد بحثنا في مقالنا السابق عن علاقة الأرض بحياة النبات وفي هذا الكلام نبحث عن عمارتها واستغلالها . ومن الضروري أولا أن نبين الفرق بين سطح الارض أي الطبقة التي تحرث وتخدم وبين الطبقة السفلى منها وهي التي لاتصل اليها عمليات الفلاحة .

فالطبقة العليا تسمى (الارض) والسفلى تسمى (تحت الارض) . فالسطح الذي تحت الارض وهو الذي يسير عليه سلاح المحراث عند فلاحة الارض يكون أ كثر اندماجا

ويختلف غور الطبقة الارضية بين ستة عشر وبين عشرين سنتيمترا ويكون

متغيرا على حسب غور الحرارة . وتحت الارض عادة أكثر عمقاً مما يحتاج اليه نمو النبات .

أما فى القطر المصرى فان الأرض وتحت الارض يتشابهان تشابها كليا فى الصفات ومع ذلك فبينهما بعض الاختلاف والالم يكن هنالك تأثير للخدمة المستمرة على الارض ومن النادر أن تكون الاجزاء المعدنية المكونة للارض وتحت الارض متساوية بالضبط فى الخواص . ولهذا ترى اختلافا ظاهراً بينهما فى النموذج المبين بعد حتى ولو تساوت أجزاؤهما المعدنية فى التركيب . فان الارض تحتوى على مقدار من غذاء النبات الصالح أكثر من تحت الارض للاسباب الآتية :

أولا . ان الارض لم يمض على تكوينها زمن طويل ولم تجهدها كثرة المحاصيل فهى محتوية على مواد غذائية أكثر من تحت الارض .

ثانياً . ان الارض يتجدد لها بعض المواد الغذائية من مياه المطر ورواسب النيل والاسمدة وما يبقى فيها أو عليها من جذور النبات أو سوقه وأوراقه الميتة .

ثالثاً . ان المواد الغذائية فى الارض تكون أصلح لغذاء النبات لان المؤثرات الطبيعية تكون أكثر فاعلية بالقرب من السطح .

رابعاً . ان النباتات البقولية المحتوية على الجراثيم التى تمتص الازوت محصورة عادة فى الارض فبقاياها المحتوية على كثير من هذا الازوت تزيدها خصوبة .

خامساً . ان الارض كثيرة الهواء قليلة الصلابة فالجذور فيها أكثر نمواً أحسن صحة .

ولان تحت الارض لايخدم فهو أصلب منها . ولو فرض أن مجموع المواد الغذائية فيها مساو لما فى الارض كما يحصل فى أحوال مخصوصة فان الغذاء الصالح للنبات فيها يكون أقل نظراً لبطء التأثيرات الطبيعية فيها وأجود أنواع تحت الارض هى الصفراء الخفيفة . أما الرملية فتكون فيها أقل من اللازم كما أن السوداء تكون رطوبتها أكثر ويتعثر على جذور النبات أن تنمو بها نمواً جيداً

وطبيعة الارض شرط مهم فى عمارتها ونمو المحصولات فيها .

فالاراضى فى القطر المصرى اما صفراء (طميية) أو رملية أو سوداء (طينية) وعلى العموم فالصفراء هى الغالب . أما السوداء فلا توجد الا فى اماكن قليلة . والرملية توجد على العموم فى الحواجر والجروف . وليس هنالك خلاف كبير فى

الصفاة الطفلية بين الأرض وبين تحت الأرض حتى فى المساحات الصغيرة المحدودة والجدول الآتى يريناهذا الاختلاف بين الطبقتين

أرض رقم ١ تحتوى على ١٩ فى المائة من الطين وهى أرض صفراء

« « ٢ « « ٢٩ « « « « « « رملية

« « ٣ « « ٣٩ « « « « « « صفراء

تحت الأرض رقم ٢ « « ٤٤ « « « « « « سوداء الصفراء

« « « ٣ « « ٥١ « « « « « « سوداء

فتنقسم الاراضى إلى ثلاثة أقسام عظيمة وهى الرملية والصفراء (الطميه) والسوداء (الطينية) وهذه الاقسام يتداخل بعضها فى بعض تدريجياً . ويين هذه الأقسام الثلاثة من الارض مايسمى رملية صفراء أو رملية ثقيلة وسوداء صفراء أو سوداء خفيفة .

الأرض الرملية

والارض الرملية تكون مركبة عادة من أجزاء صلبة لم تستحقها المؤثرات الطبيعية وبها قليل من غذاء النبات المعدنى والأزوتى . والماء سريع النفوذ فيها وقوة حفظها له ضعيفة وحينئذ تحتاج إلى كثيراً والرى المتوفر يغيض فيها سريعاً وإذا شربت قليلا من الماء تفوت حرارتها بسرعة . وعلى ذلك تكون أكثر الاراضى حرارة وتنضج محاصيلها قبل أوانها ولخلوها من الطين تكون سهلة الحراثة سريعة التأثر بالسماد إلا أن تأثيره فيها لايستمر إلا قليلا . وأحسن السماد لها ما كان غير قابل للذوبان من الاسمدة العضوية التى تمدها بالمادة الدبالية حيث بها تتضام جزئياتها وتزداد قوة حفظ الماء فيها . على أن هذه الاسمدة أقل قابلية للفقد بمياه الصرف وأحسن أنواعها السماد البلدى (سماد المواشى) والمواد البرازية وكناسات المذابح والعظام والاسمدة الخضراء . أما إذا أريد تسميد هذه الارض بالاسمدة القابلة للذوبان مثل السماد القديم (الكفرى) وازوتات الصودا والطفل وفوق الفوسفات فيجب الاحتراس الشديد فى كيفية استعمالها بها بأن يضاف السماد على جملة مرات كميات صغيرة . والمزروعات والفواكه التى تزرع فى هذه الاراضى تقل محصولا قليلا ولكنه يكون جيداً بدرياً بسبب جفاف الارض وحرارتها .

والبقول التى تمتص الازوت الجوى كالترمس والفول والسودانى والبرسيم الحجازى والبرسيم البلدى جيدة المحصول مصلحة للارض الرملية فى آن واحد . والخضر

تنجح نجاحا تاما فى الارض الرملية إذا سمدت تسميداً جيداً . وكذا الحناء والشعير والسمسم تصلح فى تلك الاراضى كما أن الأذرة الرفيعة لاحتياجها لأرض قليلة الرطوبة تنجح فى الارض الرملية الجافة أكثر من الأذرة الشامية.

خواص الاراضى السوداء

أما خواص الارض السوداء فهى مضادة بالمرة لخواص الارض الرملية . فالسوداء الخالصة عادة أردأ الاراضى عند الزراع لانها صعبة الخدمة رديئة المحصول أما السوداء الخفيفة فليست مكروهة كالاولى . وخاصية حفظ الماء فى الأرض السوداء كبيرة جداً ولا ينفذ فيها الماء . واذا هى غالبا رطبة يكفيها قليل من الماء . ومع ذلك فيمكن ريها رياً غزيرا إذ ليس هناك كبير خوف عليها من التصريف المتوالى والخاصية الشعرية فيها عظيمة لكنها بطيئة وإذا جفت تشققت تشققاً يضر نمو المحصول . ومن حيث أنها باردة فتهويتها رديئة ولصعوبتها يكون من النادر أن تخدم خدمة جيدة مهما عمل فيها فتحتاج إلى كثير من العزق حتى يقل تشققها واذا لم تخدم خدمة جيدة فانها تتصلب وتصير قطعاً كبيرة صعبة التكسير واذا خلطت برمل تولد عنها أرض صفراء ذات خواص طبيعية مناسبة

وفى الارض السوداء عادة كثير من الأغذية المعدنية الا أنها لشدة حفظها له وقلة الهواء فيها يكون مقدار الغذاء الصالح فيها قليلا غالباً وتأثير السماد فيها بطىء جداً ويناسبها السماد البلدى لأنه يجعلها رخوة - ويمكن استعمال الاسمدة القابلة للذوبان أى السريعة التأثير فى هذه الأرض بدون خوف من فقدها . ورطوبة هذه الارض وبرودتها وافتقارها للهواء يجعلها غير صحية للنبات ويؤخر محاصيلها وهى فى الواقع لاتلائم زراعة الفواكه أو الخضر . ويمكن زراعة الترمس والبرسيم الحجازى والبرسيم البلدى والحلبة والجلبان والفول فى الارض السوداء الفقيرة للازوت لان مصاريفها قليلة ولانها ترخى هذه الارض وتغنيها بالازوت . أما القمح والقطن والذرة والقصب فيمكن زراعتها بنجاح فى الارض السوداء المعتدلة

عبد المجيد سيد احمد

كروكى

٢٤ ساعة من حياة امرأة

أى امرأة يمكن أن تجعل ٢٤ ساعة من حياتها أمثولة وقدوة لسائر النساء ؟

المرأة الطاهرة وهى مثل بين ملايين من الامثلة المتشابهة التى تتألف منها قطعان المصلحين والهداة من كل المذاهب ؟

أو المرأة الدنيوية وهى مثل شاذ بين ملايين الامثلة البشرية التى تميز عنها بالطباع والعادات وأسلوب الحياة ؟

ويقول موباسان « انه ليس للمرأة الطاهرة قصة ! »

ونحن وان كنا لا نريد أن نروى قصة ولكننا نرى ان ٢٤ ساعة من حياة امرأة دنيوية لا تصلح أن تكون قدوة للجنس

المرأة الدنيوية مثال شاذ ؟

بل هى كذلك . ولكن أى امرأة فى حياتنا العصرية لا تريد أن تكون فى أسلوب حياتها امرأة دنيوية ؟

بل أى امرأة فى عصرنا لا تضم مع خلقها الطاهر رغبة حادة فى أن تكون لها أساليب المرأة الدنيوية ؟

الطهارة فى الفطرة أى انها بلا ثمن !

ليس للمرأة الطاهرة قصة . لأن الطهارة ما زالت فى العرف العام ضربا من اعتزال الحياة .

على ان الحياة الدنيوية فى بلد قليل المسرات مثل مصر لا تنافى الطهارة .

من يتخذ الدين قانون حياة لا يستطيع أن يكون دنيويا .

ولكن الطبيعة تسوقنا الى الحياة الدنيوية لأن أساسها التطور .

أما الدين الذى يرسم الاحوال الشخصية فانه يحول دون التطور . من أجل ذلك كانت القوانين الموضوعة وهى ثمرة تطور العادات .

ولما كان التدين فى فطرة المرأة كانت دنيوية حياتها ضربا من الشذوذ .

غير أن هذا الشذوذ تقبله بعدم القوانين لأنه عنصر تطور فى الحياة .

***

أتعلمون أى فارق بين ٢٤ ساعة من حياة امرأة دنيوية و ٢٤ ساعة من حياة امرأة طاهرة ؟

وبأى مقياس يمكن أن يقاس هذا الفارق ؟

إن كل علل التأخر الاجتماعى ترجع الى ذلك الفارق .

فكروا فى أن الاغلبية الساحقة من الرجال لا تطيق البقاء فى البيوت ؟

لماذا ؟

كيف يمكن أن يقال أن المرأة شقيقة روح الرجل ؟

ما هى الصفات الرئيسية التى تجعل المرأة أهلا لأن تكون شريكة حياة الرجل ؟

لاشك فى أن هذه الصفات غير متوفرة فى زوجات تلك الأغلبية الساحقة من الرجال من أجل ذلك راحو يطيقون البقاء فى بيوتهم .

والبيت كما يعبر عنه الاوربيون معنى للرجل هو نادى الرجل ومقهاه ومكتبه وموطن سروره وأنسه ولذته .

كيف يبعد عنه أغلب أوقات حياته ؟

***

٢٤ ساعة من حياة امرأة ؟ أى امرأة ؟

أهى المرأة التى تشتغل بالادب والكتابة ؟

إنها لاتزال فى مصر عصفوراً نادراً . ولوأنها موجودة بالمعنى الذى يعترف به الادب لكانت قصة ٢٤ ساعة من حياتها أشبه شىء بقطرة

« تورناسانيا » فى كاس حياة الجمعية .

المرأة الكاتبة لاتكون قدوة انما هى ترسم القدوة .

قيل أن « أونوريه بلزاك » سيد الروائيين الفرنسيين كان فى غضون المدة التى ألف فيها « الكوميديا البشرية » يتلقى فى البريد ملفات عديدة تشمل المذكرات اليومية لطائفة كبيرة من النساء

فلوأنا استعرضنا الشخصيات المتعددة التى خلدها « بلزاك » فى الكوميديا البشرية وقد صورها كما ركبها الخالق فى كل حالاتها كأنها حية تعيش بيننا . فأية شخصية نسوية يمكن أن تمثل بأربع وعشرين ساعة من حياتها ؟

ومصر مازالت خاضعة لتقاليد الحجاب تنبو طباعها عن الخلطة بين الرجال والنساء ولم يتكون بعد المجتمع المصرى تكويناً صحيحاً .

ولما تعهد مصر الى الآن فضائل عملية تعين عليها الحكومات من نوع الجوائز التى تكافأ بها الفضيلة ويكافأ بها الاحسان والمروءة المنقطعة النظير وتكافأ بها بسالة المرأة وتضحياتها الخ .

فكيف يمكن أن تختار المرأة التى تتخذ من ٢٤ ساعة من حياتها قدوة لسائر النساء ؟ إن كل مايصدر عن المرأة فى مصر من ضروب البسالة والتضحية والمروءة تظل مكتومة بين جدران البيوت .

من أجل ذلك لم يكن للمصرية قصة لانها عجيبة

فالى متى يظل هذا الشرف القديم محجباً ؟

٢٤ ساعة من حياة امرأة ؟ اى امرأة

هذا سؤال موجه الى القراء

أديب

✻✻✻✻✻✻✻

✻✻✻✻✻

✻✻✻

✻

دولة سياسية يهودية

فى فلسطين

بقلم يار كر ايتش القاضى بمحكمة مصر المختلطة

حينما دخلت قوات اللنبي القدس فى التاسع من ديسمبر سنة ١٩١٧ كان عدد سكان فلسطين على وجه التقريب ٧٠٠ الفا من العرب وستين الفا من اليهود . ومن هؤلاء العرب ستمائة خمسة وعشرون الفآ من المسلمين أى الاغلبية الساحقة . أى أن علم الاسلام نشر فوق الاراضى المقدسة منذ القرن السابع خلا الفترة القصيرة التى ساد فيها الصليبيون . ولم يضطهد اتباع محمد اليهود أو يمسوهم بأذى أو يلحقوا بهم سوءا فى وقت لم يعرف العالم الاسلامى شيئاً من مبادىء التسامح الدينى . أى أن اليهود عاشوا فى سلام ووئام قرنا تلو قرن حينما كانت كلمة الاسلام هى القانون السائد وذلك راجع الى حكمة عمر الخليفة الثانى (قد يس بولس العالم الاسلامى)

إذ ابتكر عمر حلا شريفا انسانيا لمعضلات زمنه وبدأت تلك السياسة الرشيدة فى القرن السابع المسيحى . بيد أن واضعى سياسة الانتداب البريطانى لفلسطين كانوا على جانب عظيم من جهل الاسلام جهلا يقرب من سذاجة الطفولة بقدر حسن نياتهم وبهـــذا قضوا على هذا البناء البديع بين يوم وليلة فضحوا بالدم اليهودى على مذبح مؤسس على حسن النية بنته أيدى غشيمة . وقد تلقى عمر الهامه من رسالة القرآن . إذ يقسم كتاب المسلمين المقدس « الكفار » الى قسمين أولها « غير المؤمنين » أو « الوثنين » ومصيرهم القضاء عليهم وقد حث النص المقدس الرسول على قتالهم إذ مصيرهم جهنم وبئس المصير .

الكتابيون أو أهل الكتاب من المسيحين واليهود فنص القرآن انهم ليس بمثل سوء المصـــير .

ولكى لايحنق انسان على الاسلام لمثل هذه اللغة المهاجمة نقتبس من انجيل متى (٢٨ — ٤٢) قول المسيح : « لاتفكروا أنى جئت لابعث السلام على الارض . لم أجىء لارسل السلام بل السيف » وفى الحروب التى أشهرها محمد وأبا بكر وفى أوائل حروب عمر كان يعادى الكفار والمنافقون والاسلام

وفسحت الفرصة لهؤلاء الاعداء أن يملؤوا قبور الشهداء بيد أنه بسقوط القدس تغير الموقف اذ أن العدو المهزوم كان أمة متحضرة كبيرة العدد وراثدهم الكتاب المقدس والتنكيل بهم ليس من حسن السياسة فى شيء فاستحالت الضرورة عند القاهر فضيلة . وارسل فى طلب البطرك المسيحي فخاطبه القائد السياسي قائلا : « لتعش أنت ورعيتك على شريطة أن تظلوا بمعزل عن المؤمنين الحقيقيين وتدفعوا الجزية » وهذا الاقتراح عاد بخير النتائج . فاصبح البطرك ليس بالراعى الروحى فحسب بل الراعى السياسى فوق ذلك . وكان محور السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية . وفرض الضرائب على بنى ملته وحدد جزية المسلمين واقتطعت الاتاوات التى كانت تجبى للخليفة من رعاياه المسيحيين الذين اعفوا من الخدمة العسكرية

فصاروا فى زمن الحرب أولى ثروة ثم أعطيت مثل هذه الامتيازات لليهود وصاروا شبه مستقلين وكان ثمن تفوق المسلمين عبوديتهم المالية اذ احتقروا التجارة واهملوا الزراعة وفضلوا السيف على القلم . أى أن المسيحيين ويهود فلسطين (ماعـــدا الصهيونيين) أثروا فى ضمنهم فلم يكونوا بالاغنياء اذ كيف تستخرج الذهب من صخور يهوديا ! بيد أنهم كانوا أحسن حالا من المسلمين الحاكمين الغالبين فصارت سفينة الدولة كسفينة ملأت المياه قاعها بقردها ربان مسلم ولكن اليهود والمسيحيين هم أولو الامر فى مكتب الصراف والتموين !

ومما يؤسف له أن جهل ساسة الحلفاء الذى ينطوى عليه الانتداب البريطانى لفلسطين يجرى فى ميناء جرثومة أراقة الدماء أو جيش بريطانى هائل العدد والعــدد

أن خطأ مجلس العصبة يظهر أكثر شذوذاً مما نعرف. فما كان على السادة الذين لعبوا بالنار فى سان ريمو إلا أن يدرسوا التاريخ ليعرفوا أن المسلمين أكثر شعوب الارض سماحة على شريطة أن تضمهم عند مركز القيادة حتى ولو كان الشخص الآخر هو الذى يتولى القيادة . وكان الواجب أن يكون التطور لا الانقلاب هو النغمة السائدة فى السياسة الغربية فى البلاد المقدسة .

وهناك عامل آخر يدعو لندن الى الحيطة والحذر أزاء هذه الاغلبية العربية الساحقة وقد يجدر بنا أن نذكر أنه سرعان ما انضمت تركيا الى دول الوسط حتى اتجهت سياسة الحلفاء الحربية الى اغراء العرب .

على أن يهبوا لقتال تركيا وقد فعلوا ذلك بعد الاتفاق مع بريطانيا وكان شريف مكة هو حامل كلمتهم كما كان السر هنرى مكماهون لسان حال بريطانيا وقد جاء فى

إحدى هذه الخطابات بتاريخ ٢٤ أكتوبر سنة ١٩١٥ ، بمقتضى السلطة المخولة لى من حكومة بريطانيا صرح لى بأن أقضى بما يأتى وأقدم التأكيدات الآتيـة : أن بريطانيا مستعدة للاعتراف باستقلال العرب وتعضيدهم فى ذلك داخل المناطق المحددة بالحدود التى يقترحها شريف مكة » .

وقد يجدر بنا أن نذكر أن بريطانيا لم ترحب بالسياسة التى رسمها الزعيم العربى ثم ما كان من عدم رضوخ الاخير . ولما كان الطرفان متفقين على هزيمة الاتراك ثم الاتفاق الذى أكدت به حكومة لندرا ، أن بريطانيا لاتنوى أن تعقد صلحا بشروط لايكون من بينها استقلال العرب من السيطرة الالمانية أو التركية شرطا أساسياً .

بيد أنه اذا احتاج الامر الى مساعدة العرب لهزيمة الاتراك إلا أنه من ناحية أخرى رأت حكومة دونلج ستريت أن مؤازرة اليهود الصهيونيين شرطا أساسياً لمرونة مقابض الكيس فى السبق ولهذا حرر بلفور فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ خطابه التاريخى (تصريحه المشهور) .

والذى يظهر أن نصوصه المحددة فى هذا التصريح لم تؤلم عواطف الزعماء العرب لما طبع عليه الاسلام من السماحة ولعلمهم أن أجدادهم أمنوا اليهود على حياتهم وأموالهم ومنحوهم موطنا . بينما كانت المسيحية ممعنة فى اضطهاد اليهود . ولعلمهم فوق ذلك أن لليهود — اليهود الصهيونيين — موطناً فى فلسطين . وربما أولوا هذه اللغة أنها لاضطهاد اليهود قرونا فاعتبروا التصريح الا وعد من جورج الخامس أنه لن ينسج على منوال أدوارد الاول . وقصارى القول أن العرب أولوا هذا التصريح بأنه دليل على عدم ثقة اليهود بالمسيحيين فحسب ، وأن زوال العلم التركى لن يرجع الساعة الى الوراء أى أنه لم يخطر ببالهم خطر أن هذا التصريح مضاد للاستقلال الذى أوكد لهم

ولما سلمت القوات التركية بمساعدة العرب أصدرت رياسة القوات الانجليزية الفرنسية تصريحا فى ٧ نوفمبر سنة ١٩١٨ مؤداه : « أن الغرض الذى وضعته فرنسا وانجلترا نصب أعينها فى مواصلة الحرب فى الشرق (تلك الحرب التى أشعرتها ألمانيا) هو تحرير الشعوب التى طالما ظلمها الاتراك وتأسيس الحكم القومى والادارة القومية المستمدة سلطانها من اختيار هذه الشعوب اختياراً حراً بكامل حريتها » . فكما أن المسلمين هيأوا ملجأ حصيناً مأمونا لليهود المضطهدين من المسيحية فى الماضى كذلك وجود ستمائة وخمس وعشرين الفا من المسلمين من ٧٦٠ الفا من السكان معناه أن الوطن القومى اليهودى الذى نص عليه تصريح بلفور اصبح مكفولا

ان عهد عصبة الامم ناصر مبدأ استقلال عرب فلسطين . وقد نص على ذلك فى الفقرة الثانية والعشرين من معاهدة فرساى اذ صرح ، أن أمما وجماعات كانت خاضعة لتركيا وصلت الى مستوى من التقدم والرقى بحيث يمكن أن يعترف مبدئيا بوجودها كأمم مستقلة خاضعة للنصحية الادارية ومساعدة الدولة المنتدبة الى أن تصبح قادرة على النهوض وحدها .

ثم ما كان من أن فلسطين صارت واقعة تحت الانتداب البريطانى . وقد يدهش الانسان عند مراجعة هذا الصك كيف انه لا يتجه نحو تمكين فلسطين من النهوض وحدها أو انشاء وطن قومى لليهود بل يتجه الى تحويل فلسطين الى موطن للشعب اليهودى . ويظهر أول الامر ان ذلك لم يحرك شواجن الاغلبية العربية التى ما فتىء المسلمون والمسيحيون أن يذكروا :

(١) اتفاقية ١٩١٥ مع انجلترا .

(٢) اشتراكهم الفعلى مع جيوش الحلفاء .

(٣) التصريح الفرنسى الانجليزى فى ٧ نوفمبر سنة ١٩١٨

(٤) نصوص عهد العصبة .

فظلوا متواصين بالصبر واثقين بعدالة قضيتهم .

وعندما رأوا أنهم أدمجوا مع اليهود فى وحدة سياسة واحدة ، وان مندوبا ساميا يهوديا ومدعيا عموميا يهوديا نصبا عليهم بدأت ثقتهم فى روح الانصاف الغربى تتزعزع . وسواء أكانوا محقين أو غير محقين فالواقع انهم شعروا بالخيانة . فلما بدأت الادارة الفلسطينية فى سن القوانين لتشجيع مهاجرة اليهود واستيراد عناصر اعتقد الزعماء العرب عن صدق حسن واخلاص انها ملوثة بالبلشفية انقلب الموقف مهددا بأسوأ العواقب وزاد ذلك الغيرة الدينية . ولما انقلب الانتداب على فلسطين الى إذلال المسلمين أمام اليهود والقضاء على البناء الاجتماعى الذى شاده عمر صار واجبا على المؤمنين ، أن يشهروا الحرب على اليهود .

ثم تذكر عرب فلسطين المسيحيين الجميل متى فآزروا المسلمين العرب وتساندوا وضموا صفوفهم وسلاحهم والنتيجة انه لولا الحراب البريطانية تهزم مبدأ تقرير المصير لما سلمت رقبة يهودى فى فلسطين . وهذه العواطف يمتزج بها العطف على مجهودات يهود فلسطين الطائشة واحترام العناصر اليهودية غير الصهيونية فى أمريكا فصير سكان فلسطين اليهود فى أيدى اليهود الامريكيين غير الصهيونيين .

ان الصهيونية لفشل رائع وان ما يقال عن تحويل فلسطين الى وطن قومي للشعب اليهودي صار ممكنا بفضل ما يقال عليه .

الاتحاد غير المقدس بين الذهب اليهودي الامريكي غير الصهيوني والبارود والرصاص البريطاني . فلو توقف تيار الذهب من أمريكا لرأى يهود فلسطين ضرورة سحب انجلترا لهذا التصريح ولو نقلت الجنود البريطانية أو قل عددها تقليلا عظيما لصار عدد ضحايا اليهود دائما . ولو تردد يهود أمريكا غير الصهيونيين فكان عليهم أن يسائلوا أنفسهم ما كان مصير العبيد السابقين فى الولايات الجنوبية بين أمريكا ما دام الشمال على جهله واصراره على هزيمة تصميم الجنوب . فنشأ من ذلك زيادة الاقليات بين السود ولم يكن لأحدمنهم صوت سياسى فى احدى عشرة ولاية . وانى أصارح ان حسن النية اذا اقترن بالجهل صار مجلبة للشقاء فى العالم .

وما مصير الادارةفىفلسطين الا الخيبة انمى آزرتتصريح بلفور . فالواجبعلى يهود أمريكا غير الصهيونيين :

(١) تذكر ان الاسلام عامل اليهود خيراً من المسيحية

(٢) التفكير فيما هو أجدى وأنفع نحو المضطهدين من أبناء جنسهم . ان تأسيس وطن قومي لليهود عمل ينطوى على الهدم والتخريب .

والآن وقد انزوى تصريح بالفور وشوه حتى ذهبت صفته الاصلية وصار مرادفا لحكم دينى خاص يجب أن لا يبشر بأية رسالة لدى يهود أمريكا غير الصهيونيين ويجب عليهم العمل على سحب هـــذا التصريح فلو نجحوا فى ذلك لصار العرب واليهود قادرين تحت الاشراف الانجليزي على رسم تحديد سياسى لفلسطين يتفق مع تأكيدات مكماهون والقيادة الفرنسية الانجليزية ويضمن تأسيس واستدامة وطن قومي لليهود . بيد ان فكرة تحويل فلسطين الى وطن قومي ليست بالفكرة الامريكية وتعارض معارضة عدائية لمبادىء يهود أمريكا غير الصهيونيين .

بين الصحف والمجلات

تقسيم الاحياء الوضعى

CLASSIFICATION

أو تصنيف عالمى الحيوان والنبات

قرأت فى مجلة المقتطف الغراء بعددها الصادر فى شهر ابريل مقالا تحت عنوان «تصنيف الاحياء والفاظه العربية» — وبحث على لغوى» — وهى مناقشة بين الأمير مصطفى الشهابى والاستاذ محمد شرف صاحب معجمنا المعروف . والمقال من قلم الامير الشهابى ينتقد فيه بعض ما ذهب اليه الدكتور شرف من المصطلحات العربية

وكان السبب فى هذه المناقشة أن الامير الشهابى يرى أن الدكتور شرف قد شذ فى بعض ترجماته عما وضعه أو استعمله العلماء والمؤلفون من قبله مثل العلامة «بوست» فى كتاب «مبادىء النبات» — وكتاب «نظام الحلقات فى سلسلة ذوات الفقار» والعلامة النقيد يعقوب صروف فى المقتطف وعلى رياض صاحب كتاب «التاريخ الطبيعى» وكبار مؤلفى الترك فى كتبهم، وغيرهم وهم كثر .» الى آخر ماجاء بمقال الامير

ولقد حاول الأمير أن يعرف الانواع فقال «يوجد بين الاحياء أفراد تتشابه فى خلقها وخليتها؟ كل التشابه كأفراد الضأن فى الحيوان وكأفراد الحنطة فى النبات . فمجموع أفراد الضأن تكون نوع الضأن . كما أن مجموع نبات الحنطة تكون نوع الحنطة» الى أن قال — «قلت إن الحنطة نوع ولكن جميع أفراد هذا النوع لا تكون واحدة فى صفاتها . فقد يكون لعدد من أفرادها صفات انتقلت بالوراثة الى الانسان(١)

لكنها كثيرا ما تتبدل أو تزول مع الزمن فهــذه الافراد هى من صنف واحد

---

(١) — لاندرى كيف تنتقل صفات الحنطة وهى نبات بالوراثة الى الانسان ولعل فى الجملة تحريفا سببه سوء التعبير ولعله يريد أن يقول انه قد تظهر فى بعض أفراد الحنطة صفات وراثية يمتاز عليها الانسان . على أن الفرق كبير بين التعبيرين والمعنيين .

كالصنف الهوراني من الحنطة وكالصنف الحوى من المشمش والصنف بالفرنسية Variété ، ـ فكأنه يعتبر أن هذا الشرح تعريفاً للصنف Variety كأنما أن يسميه جبرياً على ترجمة المغفور له الدكتور صروف وعلى رياض

على أنى لم أعرف من سياق مقال الامير الشهابي ان كان هو يقصد من هذا الشرح أن يكون تعريفاً للنوع والصنف ؟ أم أنه يريد مجرد الشرح البسيط تقريباً للموضوع من الأذهان . أما اذا كان الثانى فقد أصاب وأما ان كان الاول فقد أخطأ

والسبب فى هذا أن تعريف الانواع والتنوعات وهى ماعناها بالصنف متعذر الى حد كبير . قال العلامة داروين فى الفصل الثانى من كتاب أصل الانواع ص ١٣٤ مجلد أول من الطبعة العربية مايلى .

« وما كنت لاسوق البحث فى التعاريف الشتى التى وضعت لكلمة « الانواع » اذ لم يقتنع واحد منها الطبيعيين عامة . ومع ذلك فكل طبيعى لايعرف الانواع اذ يتكلم فيها ، إلامعرفة مبهمة مقصورة على أنها ليست بشىء سوى ذلك العنصر غير المعروف الخاضع لتأثير فعل خاص من أفعال الخلق . وتعريف التنوعات Varieties لايقل صعوبة عن تعريف الانواع . كما أن اشتراك سنة التسلسل يتضمن ذلك عامة ، ولو أنه غالبا ما يكون من الصعب التدليل عليه . وكذلك يتناول بالطبع ماندعوه « بالهول » Monostrosities أى شواذ الخلق ، رغم أنها تصعد متدرجة فى سلم الارتقاء ، حتى تستحيل الى تنوعات وما الهول لدى التحقيق إلا انحرافاً عن النظام العضوى ليس للانواع فائدة منه ، بل هو ضار بها على وجه عام . ومن المؤلفين من يستعمل كلمة « التغاير » Variation استعمالا اصطلاحياً يقصد به تغاير وصفى خاضع لحالات الحياة الطبيعية رأساً ، وعلى هذا الاعتبار يقال أن التغايرات لاتورث . ولكن من ينكر أن قصر الحيوانات الصدفية التى تعيش فى مياه « البلطيق » الملحة عن متوسط طولها الطبيعى لايتوارث فى بضعة أعقاب على الاقل ، شأن النباتات القصيرة التى تنبت فى قم جبال الالب ، وغزارة فراء الحيوانات التى تقطن أقصى الشمال ؟ من هنا يتعين أن تلحق الصور الشاذة بالتنوعات ،

لم ننقل هذه القطعة الا لنظهر بها أن تعريف المجمل من التصوير العلمى فى طبقات الاحياء متعذر بل يكاد يكون مستحيلا ـ ذلك لأن نظام التدرج الطبيعى مفض الى هذه الاستحالة بلا ريب . ثم توخينا من ايرادها أن نظهر ان كل تصنيف للاحياء

لا يتناول الحلقات التي تتكون منها طبقات الاحياء وبها تتدرج بعض الاحياء الى بعض يكون ناقصاً .

فان بين الفرد - Individual - وبين النوع عدة تدرجات دقيقة ، وكذلك بين النوع والنوع عدة تدرجات أخرى هي في مجمل التصور العلمي في طبقات الاحياء أشبه بالحروف الأبجدية التي تتكون منها أية لغة من اللغات . فان فقدان حرف منها يترتب عليه نقص في تركيب المفردات يفضي الى صعوبة التعبير بها . وعليه يتعين اذا فقد حرف منها ، اما أن تضيع اللغـــة ، واما أن تتعدل معاني مفرداتها بما يطابق ذلك النقص . ولكنه ولا شك يكون نقصاً على كل حال .

لا جرم ان الامير الشهابي قد قصر بحثه على المصطلحات التي يستعملها الكتاب في علم التاريخ الطبيعي وعلم الحيوان . وله في ذلك أكبر العذر . فان الباحث في هذين العلمين ، قلما يعنى بتصور التدرجات الدقيقة التي تربط بين الأقسام الرئيسية التي يتناولها بحثه . غير انه بجانب هذين العلمين يقوم علم ثالث ، هو بمثابة الاساس لكل فروع العلم التي تتناول بحث الاحياء على اختلاف مناحيها ، ذلك هو علم الحياة Biology القائم في أساسه على تصور النشوء Evolution .

والمثال على ذلك نقتطفه من كتاب « التاريخ الطبيعي الملكي » عن آخر طبعة منه وقد ظهرت باشراف العلامة « ريتشارد ليدكر » - R. Lydekker - عضو المجمع الملكي البريطاني . فانه اتبع في التقسيم نفس الطريقة التي يتبعها كل الكاتبين في التاريخ الطبيعي ، فذكر الاقسام الكبرى من غير أن يشير بشيء الى بجملاتها التي هي لدى الحقيقة راجعة الى التصور العلمي النشوئي في طبقات الاحياء .

ولكن من ينكر مع هذا اننا في حاجة الى ترجمة المصطلحات النشوئية كحاجتنا الى ترجمة المصطلحات في علم الحيوان وعلم التاريخ الطبيعي ؟ لهذا أرى أن لا نحمل البحث على جملة مصطلحات ، جاءت حتى في بحث الامير الشهابي ناقصة مبتورة ، فانه مثلا قد أهمل كل الاصطلاحات التي يسبقها لفظة - sou - في الفرنسوية ولفظة - sub - في الانجليزية . مع انك اذا فتحت ص ٣ مجلد أول من كتاب « التاريخ الطبيعي الملكي » الذي سبقت الاشارة اليه ، وقد اتبع في النسق الابتداء بالحيوانات العليا تجد ما يلي في الكلام عن الفقاريات أو ذوات الفقار - Vertebrata :—

We accordingly have a scheme of classification like the following : —

Sub-kingdom : Vertebrata, or vertebrates ..

Class : Mammalia or Mammals, etc. etc.

فالأمير قد أهمل الاشارة فى بحثه الى اصطلاح Sub-kingdom: ، مع انه يشير الى الفقاريات وهى أهم أقسام عالم الحيوان من الوجهتين العلمية والعملية .

على هذا يتعين علينا ، اذا أردنا أن نفوز بنتاج كامل من جهدنا الحديث أن نرجع الى جميع المصطلحات التى تستعمل فى تصنيف الاحياء ، لا فى علمى الحيوان والتاريخ الطبيعى وحدهما ، بل فى التصور النشوئى الحديث أيضاً ، ليكون لنا من ذلك مجموعة من المصطلحات يسترشد بها المشتغلون بعلوم الحياة .

لهذا يجب أن نعثر على ترجمات اصطلاحية تجرى عليها لمجموع الكلمات الآتية :

(1) Individual (2) Cross (3) Cross breeds (4) Breed & Breeds (5) Form & Forms (6) Variation (7) Monostrosity (8) Modified forms. (9) Race (10) Sub-variety (11) Variety (12) Intermediate link & links. (13) Geographical races & froms (14) Sub-species & races (15) Species (16) Incipient species (17) Doubtful species (18) Closely allied species (19) Sub-genus (20) Genus (21) Tribe(22) Group (23) Sub-family (24) Family (25) Sub-order. (26) Order . (27) Sub-class (28) Class (29) Sub-phylum (30) Phylum. (31) Sub - kingdom (32) Kingdom

Individual	فرد
(1) Cross	هجين
(2) Cross-breed	نسل عبرى
(3) Breed & Breeds	نسل وأنسال
(4) Form	صورة
(5) Variation	تباين
(6) Monostrosities	هول أو مسوخ أو شواذ خلقية
(7) Modified forms	صور مهذبة

8 Kind صنف

2 Variety تنوع

1 Sub-variety تنيوع

2 Intermediate links حلقات وسطى

3 Geographical races سلالات جغرافية

3 Species نوع

1 Sub-species نويع

2 Incipient species أنواع مبدئية-أي آخذة في سبيل التكون

3 Doubtful species أنواع مبهمة

4 Closely allied species أنواع متلاحمة أو متدانية اللحمة

5 Race & races سلالة وسلالات

4 Genus جنس

1 Sub-genus جنيس

2 Tribe قبيل أو سبط

3 Group زمرة (جمعها زمر)

5 Family أسرة

1 Sub-family أسيرة

6 Order رتبة

1 Sub-order رتيبة

7 Class صف

1 Sub-class صفيف

8 Phy-lum جذع

1 Sub-phylum جذيع

9 Kingdom مملكة

1 Sub-kingdom مميلكة

أما فعل نغل وما يشتق منه فنترجمه بالآتى :

نغل ـ أنغال	1 Hybrid & Hybrids
نغولة	2 Hybridism
تنغيل	3 Hybridisation

* * *

أما كلمة Mongrel فترجمتها خلس أو خليس .

والحقيقة انى لم أضع هذه المصطلحات اعتباطاً ، بل كان ذلك نتيجة جهود متواصل سنين عديدة فى ترجمة كتاب « أصل الانواع » الى العربية . وانى لعلى استعداد لأن أناقش فيها على أنها ترجمات قابلة للتغيير والتبديل ، مع ملاحظة انى أرجعت كل اصطلاح منها الى اشتقاقه الاصلى جهد المستطاع ، لأكون بذلك أقرب الى الصواب على قدر الامكان

* * *

لهـــذا التقسيم « عمود فقارى » يقوم عليه ، وهذا العمود الفقارى هو كلمة (Species) نوع .

ففى الجدول الذى ذكرناه تسع طبقات تتدرج من حيث الثبات فى الصورة والصفات والوراثة مرتبة كما يأتى :

(١) الفرد (٢) التنوع (٣) النوع (٤) الجنس (٥) الاسرة (٦) الرتبة (٧) الصف (٨) الجذع (٩) المملكة .

وأنت كلما صعدت الى الفرد كثر التباين ، وكلما انحدرت الى المملكة قل . والمحور الذى تدور عليه هذه الرحى الحيوية هو النوع . فهو الذى يغربل ما قبله من الصور ليسلم بها الى مابعده. فتكون أحياء أكثر ثباتاً على الزمان وأقل تغايراً وبالاحرى أقل قبولا للتغاير . فالصفات الجنسية أكثر ثباتاً من الصفات النوعية ، على الرغم من اختلاف الباحثين على تحديد ما هى الصفات الجنسية . والصفات التنوعية أقل ثباتاً من الصفات النوعية . وهكذا عكساً وطرداً على مدى الطبقات التسع ، صعوداً الى الازمان الاولى وهبوطاً الى الأزمان الحديثة .

لهذا كان النوع محور بحث العلماء . ولا جرم أن يكون بمثابة « العمود الفقارى »

فى مثل هذه الابحاث العميقة . ولهذا كان تحديد « النوع » متجه نظر علماء البيولوجيا منذ أن كان لهذا العلم وجود فى أواسط القرن الماضى .

أكب العلماء على بحث « النوع » فصرفوا همهم الى معرفة « السر » فى نشوء الانواع بعد أن أظهرت أبحاث كثيرة كانت تدور حول « البيولوجيا » أن نظرية الخلق المستقل فاسدة . ولقد سمى العلماء هذا البحث « سر الاسرار » ، وما زال كذلك حتى كشف داروين عن ذلك السر بتصور حديث استمده من نظرية قديمة : استقر بهم الرأى على أن الانواع تنشأ ولا تخلق ، رجعوا الى البحث فى تحديد النوع ، وما هو فى الطبيعة ؟ غير انهم عجزوا عن تعريف « النوع » لأن سنة التسلسل تجعل تعريف الحلقات التى تتكون منها سلسلة الاحياء صعبة متعذرة . ولقد ظل العلماء غير موفقين حتى بدأ العلامتان « جارتنر » الانجليزى و « كيولروتر » الالمانى أبحاثهما فى « التهجين » Hybridism فوثق العلماء من أبحاثهما على أساس يمكن فى المستقبل أن يكون أساساً لتحديد النوع . فقد استبان لهم أن كل الصور التى تتلاقح وتنتج بالتلاقح تكون تنوعات وكل ما لا ينتج بالتلاقح من الصور تكون أنواعا . هذا على الرغم من حالات أنتجت بعض مشكلات تجعل الركون المطلق لهذه القاعدة غير مأمون النتائج تماما . ولكنها على أية حال خطوة كبيرة جديرة بمداومة البحث ، لعلها تفضى الى حقائق جديدة يمكن بها تحديد النوع تحديداً تاماً . فاذا بلغ العلماء ذلك الحد استطاعوا أن يقولوا إن تقسيم الاحياء قد أصبح قائما على قاعدة طبيعية ثابتة ، لا على الاجتهاد والحدس . والدليل على ذلك وجود ما يسميه العلماء بالانواع المبهمة ، أى غير محققة الهوية تماما . قال داروين - ف ٣ مجلد ١ ص ١٣٩ من الطبعة العربية :

« ان الصور التى تكون حائزة لكثير من صفات الانواع ، على أنها تشابه صوراً أخرى مشابهة تامة ، أو تربطها حلقات وسط بينها ، هى فى حالات عديدة ذات شأن كبير . ولو أن الطبيعيين يأبون اعتبارها فى عداد الانواع الممتازة بصفاتها المعينة . »

ثم قال :

« ولدينا من الدلائل ما يحملنا على الاعتقاد ، اعتماداً على ما وصل اليه مبلغ علمنا بأن كثيراً من تلك الصور المبهمة المتقاربة فى النسب الطبيعى ، قد احتفظت بصفاتها زماناً طويلا كما احتفظت الانواع الحقيقية بصفاتها . ولا جرم أن الباحث الطبيعى ، متى كان فى وسعه أن يوحد بين صورتين من طريق العثور على ما يربطها من الحلقات

يعتبر احداهما تنوعاً من الاخرى ، واضعاً في رتبة النوعية أكثرهما انتشاراً ، وأحياناً أولها اكتشافاً ، والاخرى في رتبة التنوعات . ولقد تعترضنا في بعض الحالات صعاب شتى ، لانعدو مناشيئاً منها ، اذا أردنا أن نفصل في صورة ما ، فنعتبرها تنوعاً من صورة أخرى ، حتى ولو كانتا مرتبطتين بحلقات وسطى بينهما ارتباطاً كلياً . كذلك لايزيل تلك الصعاب ماق الانواع من صور الانتقال التي تتخلل سلالاتها ، كما نعتقد جميعاً . وكثيراً ما نعتبر صورة من الصور في غالب الاحيان تنوعاً لاحقاً بصورة أخرى ، لا لأن الحلقات التي تثبت الصلة والرابطة بينهما قد ثبت وجودها ، بل لأن المماثلة بين صورتيهما تسوق الباحث الى الظن بأنه إما ان تكون تلك الحلقات باقية حتى الآن في مكان ولم نعرف ، وإما أنها كانت موجودة في غابر الازمان ثم انقرضت. وهنا يفتح الباحثون للشك والرجم بالغيب ، مجالاً واسعاً . ومن ثم كان رأى الطبيعيين الذين صحت أحكامهم واتسعت تجاربهم وتنوعت خبرتهم ، مرشدنا الأمين الذي نهتدى به في الحكم على صور العضويات واعتبارها أنواعاً أم تنوعات . كما أنه من الواجب علينا في حالات عدة أن لانفصل في ذلك غير معتمدين على ما أجمع عليه الطبيعيون . وإنه لمن الممكن أن نأتي بكثير من التنوعات المعروفة ذوات الشأن ، لم يلحقها بعض أولى الثقة بالانواع » ثم قال :

« ولامشاحة في أن تلك التنوعات المبهمة العلائق والصفات ، قد تكاثر تكاثراً كبيراً يتبين لنا مما حققناه من المقارنة بين ما كتبه كثير من علماء النبات من نباتات بريطانيا العظمى وفرنسا والولايات المتحدة ، اذ ترى أن عدداً عظيماً من الصور النباتية قد اعتبرها بعضهم أنواعاً ، واعتبرها البعض الآخر مجرد تنوعات . ولقد عدد لي مستر « واطسون » ١٨٢ نباتاً من نباتات بريطانيا العظمى تعتبر تنوعات على وجه عام ، وضعها علماء النباتات في رتبة الانواع . ولقد أغفل فيما جمعه ذكر كثير من النباتات الراقية ذوات الاشكال الشتى . ولقد ذكر مستر « بابنجتون » تحت عنوان الاجناس ٢٥١ صورة عافيها الاجناس المتعددة الأشكال . وذكر لي مستر « بنثام » ١١٢ صورة فقط. فالفرق بين اعتباريهما ١٣٩ صورة مبهمة . على أن تلك الصور المبهمة التي تنشأ بين الحيوانات الآفاقية، غير المقتصرة في المقام على بقعة واحدة ، والتي تتصل سلالات بعضها ببعض ، هي في شرع بعض علماء الحيوان أنواع ، وعند آخرين تنوعات عامة شائعة في بقاع مختلفة من الأرض ، وقل أن يوجد منها ماهو قاصر على موطن واحد » ـــ الخ

هذه أمثال من الابحاث الشذوذية تضطرنا اضطراراً أن تجعل لها الاعتبار الاول فى تقرير المصطلحات العربية الخاصة بها، اذا أردنا أن نجعل بحثنا فى هذه الناحية كامل الأداة .

***

نعود بعد ذلك الى كلمة « Hybrid » فنجد أن الامير الشهابى يقول : « أما الهيبريد فيسمى بغلا مع التوسع كما تطلق مصدر التبغيل على طريقة الضراب التى ينتج بها البغل ويمكن مع التوسع أيضاً تسميته نغلا ، مع العلم بأن النغل فى اللغة ليس سوى ابن الزنية » —

والظاهر أن الحقيقة على الضد من ذلك . اذ المتبادر الى الذهن أن كلمة بغل تصحيف عامى عن نغل . والدليل على ذلك أن لكلمة نغل اشتقاق لغوى أما بغل فلا اشتقاق لها جاء فى الفيروز أبادى ص ٣٨٨ مجلد ثانى مانصه

« نغل الأديم كفرح فهو نغل فسد فى الدباغ وأنغله والاسم النغلة بالضم والجرح فسد ونيته ساءت ، وقلبه على ضغن ، وبينهم أفسد ونم وجوزة نغلة متغيرة زنخة ونغل المولود ككرم نغولة فسد » . فهذا يؤيد أن النغولة فى النسل الفساد وهو قريب من معنى كلمة هيبردزم « Hybridism » فى الانجليزية وغيرها من اللغات التى تقاربها اذ أن معناها عقم التوليدات الناتجة من نوعين بعيدين فى النسب الطبيعى ، وصرفنا على الحيوانات التى تتكون لها هذه الصفة كلمة « الانغال » ترجمة لكلمة « هيبرد » Hybrid والمصدر هيبردزم « Hybridism » وهى النغولة . ومعنى هذه المادة فى اللغة الانجليزية ما أورده أصحاب المعاجم الكبرى « الخروج عن الجادة والافراط وتجاوز الحدود » ويطلقها الطبيعيون على الانسال التى تنتج عن تزاوج نوعين من الانواع تتباعد انسابهما الطبيعية ، سواء أكان ذلك فى الحيوان أم من النبات وهى تفترق عن الانسال الشاذة أى شواذ الخلق التى تنتجها التنوعات أو الانواع المختلفة المنتسبة الى جنس بعينه

***

أما « الاخلاس » « Mongrels » فهى عندى الافراد الناتجة عن تزاوج أفراد سلالتين « Tow races » تابعتين لنوع أو تنوع بعينه

وفى اعتقادى أنه لايستعصى علينا أن نجد مصطلحات عربية صحيحة الاشتقاق لترجمة كل المصطلحات العلمية المتداولة فى العلوم الحديثة ، ماعدا أسماء الاعلام فالواجب تعريبها ؟

اسماعيل مظهر

الكهلة المزهوة

٢ ـــ المجلة الجديدة ، عدد يناير سنة ١٩٣٠ ص ٣٢٤
ـــ قصة مصرية لمحمود طاهر لاشين بعنوان
(الكهلة المزهوة)

لم يبق شك فى قيمة القصة من الأدب الحديث حتى قال بعضهم إنها ستكون زعيمة الأدب فى المستقبل ونحن فى اللغة العربية نعلم قصرها فى هذا الباب . وعدم عناية العرب بالقصة . لذلك نهتم لكل محاولة يقوم بها المجددون من الكتاب والقصصيين المصريين لتصوير الحياة المصرية والقص عنها قصاً صادقاً فنياً . ونريد فى هذه الكلمة أن نعرض لقصة حديثة ترى عنوانها فى تقدمة هذه الصحيفة . ونحن نختارها لاننا نراها أرقى القصص الذى ظهر حديثاً من الوجهة الفنية وأصدقها أيضاً :

لا نريد أن نلخص فى هذا النقد قصة (الكهلة المزهوة) . فنحن نحيل القارىء الكريم عليها نفسها يستمتع بها ويقرؤها كاملة . وإنما نريد أن نبين عن مواضع الاجادة ومواضع النقص على الاخص . لأن التنبه الى النقص حافز الى الكمال ـــ فأول مانرى من مواضع الاجادة (الصدق) فى حوادث القصة حتى لنخالها واقعية بل ويقع مثلها كثيراً . وهذا الصدق وهذه البساطة من أسباب الاجادة فى القصة لانها تجعلنا نستفيد منها ونحس بأننا نطالع قصة حية وتشرح داءاً فى المجتمع تطلب دواءه . وهذا الداء الذى صوره لنا لاشين فى قصته هذه هو جهل المرأة . وهذا هو موضوع القصة . وان كان يمكننا أن نستفيد درساً آخر هو خلق بعض الازواج فى مصر . مثل كامل افندى أحد أبطال هذه القصة . ولكن الواقع أن السبب حتى لهذا الخلق هو هذا الجهل الذى تعيش فيه المرأة فى مصر . وقد نجح لاشين فى أن يجعلنا نحس الخطر فى جهل المرأة وما يتبعه من حجاب وسخف فى التفكير .

القصة إذن ناجحة من ناحية السبك والبساطة فى الحوادث ، ووضوح الفكرة أو (العبرة) ولكن الى جانب هذا النجاح ومواضع الاجادة هذه نرى مواضع ضعف فى الأسلوب وفى تسمية القصة . أما الاسلوب فقد حاول المؤلف أن يحملنا على الاعجاب بلاغته وسمو عبارته ، وجعل أسلوبه فخما متصنعا وهذا الاسلوب اذا تسامحنا معه فى الكتاب أو المقالة فلا نتسامح معه فى القصة ، لأن المهم فيها (الحوادث) التى نريد أن تؤدى لنا فى أبسط لفظ وأوضحه وأخصره بحيث لا يشغلنا عن تتبع

الحوادث ، ويريبنا أن المؤلف له غاية غير القصة هي رسالة في الأسلوب الانشائي العالي .. (١)

وأيضا كان الاولى للمؤلف أن يجعل جميع الاحاديث بين أشخاصه المصريين (العاديين) باللغة التي ينطقون بها حقا . وهل من المألوف أن تقرأ من فقهاء المنازل مثل الشيخ عبد المولى — أحد أشخاص القصة — يحدث ربة المنزل (الجاهلة) بمثل قوله (معاذ الله ، معاذ الله . كلنا نعلم علم اليقين أنك شريفة طاهرة .. الخ) ولا ندرى لماذا جعل حديث زهرة طبيعيا (أى باللغة العامية) وجعل حديث الشيخ عبد المولى وهو ليس عرضا في القصة — (بالنحوى ..) . وأما تسمية القصة ، فقد جعلها المؤلف (الكهلة المزهوة) وقد وصف لنا بطلته هذه الكهلة بما يوافق ذلك ، ولكن (الصفة) التي بني عليها حوادث قصته ، والتي تؤدي بنا الى الغاية منها (العبرة) ليست مبنية على صفة (الزهو) هذه ، بل سببها جهل الست زهرة . وليس لزهوها دخل لا في حوادث القصة ولا في نتيجتها النهائية ..!! فبين القصة إذن وبين اسمها فرق كبير ، لأن الاستاذ يقص لنا عن امرأة (جاهلة) غبية ، لا تباشر مصالحها الخاصة ولا

---

(١) لا بأس في أن أنقل هنا رأيا لكاتب فرنسا الأنيق أناتول فرانس عن الأسلوب العالي لعله ينفع أساتذتنا المغرمين به ... (نقلا عن ترجمة الامير شكيب ارسلان لكتاب أناتول فرانس في مباذله ، بعنوان : توخى العالي من الانشاء مرض ، ص١٤٥ — ١٤٦) . احذر من البقبقة ومن النوع الكورنايلي (نسبة الى الشاعر Corneille وكان يذهب الى التعالي في البيان) ، واترك هذه الجزالة للوعاظ على المنابر ، فانه ليس شيء أسهل من الرعد ، والقصف والارتجاز والادهاش ، وأن أقبح المغنيين المعارون الزعاقون ، وأي من نفيق خرج من الطبيعة ولابد له من الرجوع الى الحالة الطبيعية بحكم الضرورة . لأنك اذا كنت محلقا فوق السحب فلا تقدر أن تبقى محلقا بدون نهاية ، بل عليك أن تنزل بقاربك أخيرا الى الارض

ان رواية مشخصة يصفق فيها عند كل شطر تترك السامع طول الليل مشدوداً على كرسيه ، لانه متى بدىء بالهذيان فلا يعرف أين ينتهي فهو ينتهي إما في (بند) Pinde جبل في بلاد اليونان خاص بآلهة الشعر ، أو في المستشفى ، وهكذا الشأن في القصص ، فان الانشاء المطنب يكون غالباً من دلائل المحال : في أوائل نشأتي كنت أنضح عرقا حتى أبلغ الأسلوب العالي الفخم ، وأما الآن فاني أفر منه

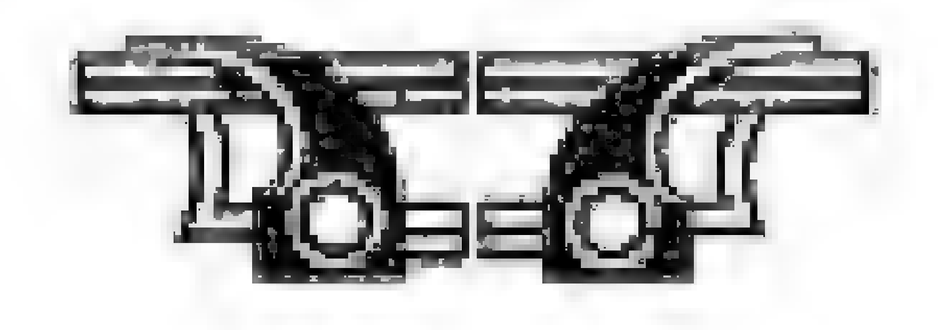
تعرف كيف يقضى زوجها وقته ، إلى غير ذلك مما سببه الجهل وحده ، وليس للزهو مدخل فيه ، وانما هو صفة ثانوية نود لو صوره لنا الاستاذ فى قصة أخرى

* * *

هذه ملاحظات عن قصة الاستاذ لاشين ، ذكرت فيها مالها وماعليها ، وانى لاختم هذه الكلمة بأنى أعتبر هذه القصة من أجمل ما قرأت من القصص المصرى الحديث — وأنا مهتم به دائب البحث عنه — وأود فى ختام هذه الكلمة أن أرى الكثير من الكتب والقصص التى تعبر عن شعورنا (المصرى) الخاص ، وتصور حياتنا المصرية الخالصة ، فاننا نريد أدبا مصريا . وعلى هذا الاساس نرحب بقصص تيمور وكامل كيلانى وأبو شادى ولاشين لانهم يضعون الاساس للأدب المصرى المنشود . وعلى هذا الاساس نقدنا قصة لاشين هذه كما نقدنا كليوباترة الشوقى فى العصور الماضية وكما نقد غيرهما قريبا ان شاء الله مغتبطين بهذه البداءات الحسنة . ونشكر للمصور عنايتها بهذا (الاتجاه) وتقديره محمود على الشرقاوى

القاهرة فى ٧ — ١ — ١٩٣٠





شعر التجديد

للاستاذ حسن كامل الصيرفي

استرح ياقلب

إســـترح يا قلب ، واهدأ ربمـا عادت الأيام تستوحى الضمير
فتراهـا بعـــد غدر قد صفت مثلمـا يصفو مع الليـــل الغدير
وتراها فى ابتســام بعدما عبست حتى تراءت كالقبور
وتراها تدفع اليأس الى حفرة ما إن له منها نشور
وتراها ، وتراها . . . ليت ما تمنى تتجلى عنه الستور

فاسترح يا قلب واهدأ ربمـا
أوت ! الآن لنـا هذى السما

***

(آه يارب !) وهذى كل ما ينطق القلب به ، لا من فمى
إنهـا كالروح سر غامض أو رتليه بـــالى الأنغم
(آه يارب !) وكم أسلو بها ! فهي من ماضى غرامى مغنمى
لفظة الغارق فى آلامه يرتجى الشاطىء بين الظلم
قلت الأحرف فيها إنما كثرت فيهـا معانى الألم

***

آه يا رب ! أمانى اختفت كاختفاء الأمس فى الماضى البعيد !
هل لها من عودة يا رب أم انها كالأمس ماض لا يعود ؟

***

لم يزل سر حياتى كامناً فى خفايا الغيب حتى يعلما
والذى قدره الله لنـا مستكناً بين أطبـاق السما

فاسترح يا قلب واهدأ ربما ٠
أوت الآن لنـا هذى السما

---

(١) أوي له : رق وأشفق

اجتماعيات

الخير والشر

أيها البائس لاتعجب فما ... فى طريق الشر الا النيرات
وطريق الخير محل لاترى ... فيه من زهر، ولا فيه نبات
وطريق الشر سهل واضح ... وطريق الخير يحوى العقبات
بيد أن الشر لو تنظره ... ســاحة مملوءة بالويلات
غرك النور بهاتيك الصوى[1] ... فتقدمت لداجى الظلمات !!

• • •

أيها الخير، وكم أتعبت من ... قاصد يلقى عظيم النكبات !؟
مهد الســـير بواديك فما ... أقصر العمر بهاتيك الحياة !

أيهما أصلح ؟

أترى يصــلح من عالمنا ... أن يبيد الشر منه، أم يضر ؟
لا أرى إلا بقاء الشر كى ... يعرف العالم ما يعنى بـ (خير)

لو كان . . .

أترى لو كان من أمر الوجود ... أنه باق على مر الزمن !
لا سقام، لاموات، لالحود ... لا ترى يأكل ذياك البدن
أترى هل كان فينا من يجود ... بعزيز الروح يشتاق الكفن؟!
دون ما يجزع من ذاك الورود ... أترى هل كان فينا من يحن ؟؟

كلنا طرآ يحن ...

---

(١) الصوى: علامة تكون فى الطريق هدى ودليلا واحدتها صوة .

عهد الصفاء

أترى يأتى علينا زمن ... تتناسى فيه هاتيك الفروق
فى الديانات، وفى الاوطان، فى ... هذه العادات، فى كل طريق!؟
هل اذا عشنا كهذا ترتوى ... أنفس فينا الى السلم تشوق؟
أم ترى نبحث عن شىء به ... نبعث الفتنة للخلف تسوق!؟

ديانات اخرى

أظن إذا ما أقبل الناس كلهم ... على ترك هاتيك الديانات فى عصر
سيبحث كل عن جديد من الهوى ... وتصبح فى الدنيا المذاهب كالخز!!

النقد . . .

وينقصنا فى النقد شيئان: ناقد ... خلا من قيود الحقد، أو غرض الهدم
ملم بآداب المقال فلفظه ... مليح، ومعناه الى فنه يرمى
وقد يرىء يصلح العيب دون ما ... يعرض بالاسباب فى معرض الذم
ولكننا والحزن يغشى قلوبنا ... بلينا بنقاد تدلوا الى الجرم
يرون طريق النقد تشويه منظر ... ونهش عروض كالكلاب بلا كم
وما النقد إلا غاية من ورائها ... صلاح ولا يرجى الصلاح من الظلم
فان تم هذان استرحنا من الذى ... نراه فهل يسمون بالنقد فى يوم؟
ولكن متى؟ . . والناقدون نفوسهم ... خراب . . أرى تعميره غاية الوهم

الخيال

ويلومنى بعض الرفاق وقد ... ملكتهم مادية العيش
ما تستلذ من الخيال وما ... فيه سوى الاحلام والطيش؟!
فاتركه لا تسبح على أمل ... فى بحره الهدار بالغش
فأجبتهم لولا الخيال على ... هذى الحياة لضقت بالعيش
كل يؤمل فى الحياة ولو ... لا هذه الآمال لم يعش
لولا النقوش لما سمت صور ... وكذا الحياة تعز بالنقش

فهرست

صحيفة